

## صدي عشتار في الشعر الجاهلي Echo of Ushtar in Jahili Poetry

إحسان الديك

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.  
تاريخ التسليم: (٢٠٠٠/٤/١٨)، تاريخ القبول: (٢٠٠١/٣/١٣)

### ملخص

يتناول هذا البحث الأم الكبرى "عشتار" وتجلياتها في الفكر القديم، وانسحاقها في المخيلة العربية بلبوس الزهرة والعزى، فيرصد صداها في الشعر الجاهلي بوجهها الأبيض، حين تكون ربة للخصب والجنس واللهو، والأسود، حين تكون إلهة الحرب والموت والدمار، معتمداً على النصوص والنقوش القديمة، ومقارنتها بما احتفظت به العربية الفصحى حارسة التراث السامي، مؤيداً ذلك كله بالنص الشعري.

ويقدم البحث تفسيراً لكثير من الصور الشعرية والطقوس الشعائرية الجاهلية التي انبثت أصولها، كما يجذر أعلى قيم الجاهلية ومثلها العليا الثلاث: المرأة والخمرة والفروسية، فيربطها بأصولها الدينية التي تمت للأم الكبرى بصلة. ويرى أن المرأة رمز للزهرة مثلما هي رمز للشمس مما يؤكد اختلاف ديانة عرب الجنوب عن عرب الشمال وتداخلهما فيما بعد، وهو ما أيدته الدراسات التاريخية.

### Abstract

This paper tackles the Big Mother, Ushtar, and her embodiment in old thinking and Arab imagination in the form of a flower and al-Uiza. The paper has monitored her white face in Jahili poetry at a time when it was fertile land for sex and entertainment. At another time, her face was black and a goddess of war, death and destruction. The researcher relied on ancient inscriptions and old texts and compared them with what classical Arabic has preserved of them. In so doing, Arabic has safeguarded noble heritage. Poetry texts were evidence of this. The researcher also offered an interpretation of poetic images, tribal Jahili rituals which nurtured their roots. He also deep rooted the most precious of Jahili values and ideals; woman, wine, Knighthood, and linked them with their religious origins associated with the Big Mother. The woman became a symbol for the flower as she was a symbol for the sun. This clearly shows the difference in between the religion of the South Arabs and that of the North Arabs and their overlapping later on, which was supported by historical studies.

## تأسيس

لقد خلق الله عز وجل هذا الكون من العدم، وإليه يعود، وبين البداية والنهاية يبقى قائماً على الحركة الدائبة بين قطبيه، وقوته المتناقضتين: الحياة والموت، إذ هما الخيطان اللذان ينسجان الوجود في مقابل العدم.

وخلف قناع سكون الكون، هناك حركة لا تهدأ، وكيونة تتحرك، في كل لحظة فيه تنشأ حياة جديدة، ولكنها تسير في طريقها المحتوم إلى اللاشيء، وقد صدق الله تعالى حين قال: "تولج الليل في النهار، وتولج النهار في الليل، وتخرج الحي من الميت، وتخرج الميت من الحي"<sup>(١)</sup>. فلا حياة بلا موت، ولا موت بلا حياة، كما أن لا نهار بلا ليل، ولا ليل بلا نهار، في غياهب الموت تكمن خميرة الحياة، وفي صميم الحياة تختبئ بذرة الموت.

ولقد صورت الأساطير القديمة سنة الموت هذه، فظهرت مبادئ الحياة الأولى من أشلاء الإله القتل، حيث شُقت الإلهة "تعامة" في أسطورة التكوين البابلية إلى نصفين، صنع منهما السماء والأرض، ومن بقية أجزاء جسدها صنعت مظاهر الطبيعة، ومن دم الإله القتل "كنغو" زوج تعامة، خلق الإنسان، والصراع بين آلهة الحياة وآلهة الموت، سمة بارزة من سمات هذه الأساطير، فهناك صراع "بعل" مع "موت" في الأسطورة الكنعانية، و"أوزوريس" مع أخيه "سيت" في الأسطورة المصرية، و"أهورامازدا" مع "أهريمان" في الأسطورة الزرادشتية.

بالموت ظهر الوجود، وبالموت بدأت حياة الإنسان، ولا تستمر الحياة إلا بالموت، وتقديم القرابين البشرية والحيوانية والنباتية، ولقد ارتبط ظهور القتل/ الموت في الوجود بالفعل الجنسي المشاكل لخصب الطبيعة، واللذين منهما تكون الحياة، فكان مقتل هابيل على يد أخيه قابيل بسبب الزواج وتقديم القرбан، وهذه الأرض التي لعنت قابيل هي التي فتحت فاهها لتقبل دم أخيه، وهي التي جبل منها جسد أبيه آدم، إنها الأم الكبرى التي تعطي وتأخذ، تحيي وتميت، تمسك باليد اليمنى قوة الحياة والخير، وباليسرى قوة الموت والدمار.

"وتدل الاكتشافات الأركيولوجية الحديثة في منطقة الشرق الأوسط، على أن الأم الكبرى للعصر النيوليتي قد عبدت سيدة للموت كما عبدت سيدة للحياة، وتدل طقوس الدفن التي

مارسها سكان المستوطنات الزراعية النيوليتية على أن الموت لم يكن بالنسبة إليهم سوى معبر للعودة إلى أحضان سيدة الموت، التي كانت في نفس الوقت سيدة للحياة<sup>(٢)</sup>.

### عشتار الأم الكبرى/ سيدة الحياة والموت

أدرك الإنسان منذ فجر وعيه أن بقاءه مرهون بالتكاثر والغذاء، إذ من غير التكاثر ينقرض جنسه ويفنى إلى الأبد، ومن غير الغذاء يتعرض للموت والهلاك، لذا احتل خصب الطبيعة حيزاً كبيراً من معتقداته وطقوسه السحرية في عصور ما قبل التاريخ وما بعده.

ولقد ظل الإنسان في العصر الحجري القديم عالة على الطبيعة، معتمداً عليها، يجمع قوته، ويصطاد حيوانه، ويبدل جهده للسيطرة على مظاهرها، وكبح جماحها، واتقاء أخطارها؛ باسترضائها أو إغرائها حيناً، وبخداعها وتقليدها أحياناً أخرى، عن طريق الطقوس السحرية التي عرفها.

وفي أواخر الألف التاسع قبل الميلاد (بداية العصر الحجري الحديث)، عرف الإنسان الزراعة ودجن الحيوان، فاعتبر ذلك انقلاباً كبيراً، وتغيراً خطيراً في المجتمعات البشرية، وبنائها الاقتصادية والاجتماعية، حيث انتقل الإنسان من مرحلة الصيد والتقاط الغذاء، إلى مرحلة الاستقرار والزراعة وتربية المواشي، فضمن مصادر غذائه عن طريق إنتاجه، بدلاً من السعي من أجل جمعه، وكان الفضل في ذلك كله يعود إلى المرأة، مكتشفة الزراعة، وحافظة البذور، ورعاية الأرض والحيوان.

وعندما تعلم الإنسان الزراعة وجد في الأرض أما رؤوماً كبرى، فهي التي تحمل روح الخصوبة وهي التي تغذيه، يخرج الزرع من بطنها كما الوليد من بطن أمه، هي الأم الحاملة والمولدة، مانحة الحياة ومنجبتها أو منتجتها، وما إخصاب التربة إلا نوع من الميلاد المتجدد للمحصول مما حدا بعقله إلى عبادتها وتقديسها، واعتبارها قوة أنثوية خالقة، اختلفت أسماؤها باختلاف المهمة التي تقوم بها، فهي في بلاد ما بين النهرين " تحت اسم " نينتو " كانت إلهة الولادة والمخاض، وتحت اسم " ماما " أو " مامي " كانت تقوم بفعل خلق الكائنات البشرية، أما

لدى الكنعانيين فهي "عشيرة" زوجة "إيل" وأم الجميع، وفي آسيا الصغرى هي "سبييل" أم "آتيس" وفي الوقت الحاضر لا زال الهنود الحمر في أمريكا الشمالية يقدسون الأرض ويعبدونها على أنها الإلهة الأم لديهم<sup>(٣)</sup>.

سماها الرومان الأوائيل "تلوس ماتر" "Tellus Matar" أي الإلهة الأم - إلهة الأرض<sup>(٤)</sup>، وأطلق عليها الإغريق القدماء اسم "جيا" (Gaia) أو "جي" أي الأرض الأم التي انبثقت منها جميع الأشياء، خلقت العالم، وحبلت بأول جنس من الآلهة، وولدت الجنس البشري<sup>(٥)</sup> نراها في المنحوتات البارزة امرأة ترضع طفلاً مع أطفال آخرين ملتقين بثوبها، مخرجين رؤوسهم من بين التلافيف حولها، والأجنة تحيط بها من كل صوب ... بل إنها - كما ينص أحد النقوش - أم الأطفال أجمعين، إذا شاءت، حرمت فاعل الشر من النسل أو منعت عن الأرض كل ميلاد<sup>(٦)</sup>، يقول هوميروس في إحدى أناشيده واصفاً الأرض الأم:

"إنها الأرض التي أغني

الأم الكونية،

إليك يعود أينها الأرض

أن تعطي الحياة للأسموات

مثلما يعود إليك أن تأخذها"<sup>(٧)</sup>

وما ذكره هوميروس لا يبتعد كثيراً في معناه عما ذكره أمية بن أبي الصلت في قوله<sup>(٨)</sup>:

والأرض معقلنا وكانت أمنا

فيها مقابرنا وفيها نواد

مما يدل على شيوع فكرة أمومة الأرض وانتشارها عند العرب، ومما يعزز ذلك، بقاء هذه الفكرة في التراث الإسلامي "سئل يحيى بن معاذ الرازي أن ابن آدم يدري أن الدنيا ليست بدار قرار، فلم يطمئن إليها؟ قال: لأنه منها خلق فهي أمه، وفيها نشأ فهي عشه، ومنها رزق فهي عيشه، وإليها يعود فهي كفاته وهي ممر الصالحين إلى الجنة"<sup>(٩)</sup>.

وقد أدرك الإنسان بعد أن خطأ خطوة أخرى في مدارج تفكيره أن فكرة الخصوبة هي سر تكاثر النبات والحيوان والإنسان على حد سواء، وأنها لم تعد تقتصر على التراب وحسب، لذا عزا مظاهر الإخصاب والتكاثر إلى قوى إلهية، مثلها في إلهة واحدة أنثى، لأن العطاء والإخصاب والميلاد كلها من خصائصها، وأطلق على هذه الإلهة الكونية اسم "الإلهة الأم" أو "سيدة الطبيعة".

ثم وجد الإنسان القديم في المرأة المخصبة رديفاً للأرض المخصبة وصنوا لها، باعتبارها مصدر الحياة، وراعية الخصب الجسدي والولادة والتكاثر، قبل أن يعرف دور الرجل في الإخصاب " فمن جسدها تنشأ حياة جديدة، ومن صدرها ينبع حليب الحياة ... وخصبها وما تفيض به على أطفالها هو خصب الطبيعية التي تهب العشب معاشاً لقطعان الصيد، وثمار الشجر غذاء للبشر ..... لقد كانت المرأة سراً أصغر مرتبطاً بسر أكبر، سر كامن خلف كل التبديات في الطبيعة والأكوان، ف وراء كل ذلك أنثى كونية عظيمة هي منشأ الأشياء ومردّها، وعنّها تصدر الموجودات، وإلى رحمها يؤول كل شئ كما صدر" (١٠).

"ظهرت هذه الإلهة الأم الأنثى ممثلة للقوة العظمى، تضم الكون بين حناياها، كما تضم المرأة وليدها، قبل ظهور الذكر، ويكاد دارسو الميتولوجيات يجمعون على أسبقية العبادات القمرية على الشمسية، وارتباط العبادات القمرية بالمرأة، وسيادة الألوهية المؤنثة، بينما يرتبط الانقلاب الشمسي ودياناته بالسيادة الذكورية" (١١).

ومما يؤيد أسبقية المجتمع الأمومي على المجتمع الأبوي أن أقدم التماثيل التي شكلها الإنسان للعبادة في العصر الحجري هي تماثيل إناث على شكل دمي طينية أو حجرية أو مرمرية، أو فخارية "في هيئة امرأة حبلية أو أم تضم إلى صدرها طفلها الصغير، أو عارية الصدر تمسك ثدييها بكفيها في وضع عطاء، أو ترفع بيديها باقة من سنابل القمح" (١٢).

ومما يلفت النظر في هذه التماثيل، أنها عديمة ملامح الوجه، تبدو بدينة مترهلة، بولغ في تضخيم الأعضاء الأنثوية، "فمنطقة الثديين والبطن والحوض وأعلى الفخذين التي تشكل معاً كتلة ممثلة، عنى الفنان بإظهار وتضخيم كل جزء فيها بطريقة تبدو معها بقية الأعضاء

وكأنها رسمت لتظهر ما لهذه الكتلة من أهمية قصوى، فالثديان عبارة عن كتلتين هائلتين مستديرتين والبطن منتفخ في إشارة لحمل أبدي، والردف ثقيل، والوركين قويان بارزان، ومثلث الأنوثة منتفخ يشكل مع أعلى الفخذين وحدة متماسكة، وقد يتدلى الثديان ليشكلان مع البطن والوركين تكويناً واحداً متراسماً تتجمع فيه هذه الرموز في بؤرة واحدة هي مستودع الخلق<sup>(١٣)</sup>.

وحيثما كان الإنسان القديم يرحل من المناطق الزراعية الوفيرة الإمطار، إلى المناطق المجربة الشحيحة الأمطار، وكان يراقب تحول الخصب في النبات والطبيعة، أدرك أن الأرض ليست هي العامل الوحيد في الخصب، وأن المطر يلعب دوراً مهماً في الزراعة، وقد ترافق ذلك مع فهم دور الرجل في الإخصاب، فعقد علاقة بين المطر ومني الرجل، وكان هذا التحول فاتحة لانقلاب ذكري فيما بعد<sup>(١٤)</sup>. فبدأت فكرة ظهور الإله الذكر إلى جانب الأم الكبرى، وكان الإله الذكر هو ابن الأم الكبرى وزوجها في أن معاً تمثل المنحوتات الجدارية على هيئة ثور يولد من رحم الأم الكبرى<sup>(١٥)</sup>.

كانت عبادة الأم الكبرى منتشرة عند كل الشعوب القديمة قبل السومريين وبعدهم، واختلفت أسماؤها باختلاف الأمم التي عبدتها فهي "إنانا" السومرية، و"عشتار" البابلية والأكدية و"أنانيتيس" الأثورية، و"عناة" الكنعانية و"عشيرة" أو "أثيرة" الفينيقية، و"عشروت" العبرانية، و"أفروديت" الإغريقية، و"فينوس" الرومانية، و"إيزيس" المصرية، و"أناهيد" الفارسية، و"العزى" أو "الزهرة" العربية.

هذه هي الأم الكبرى وإن تعددت أسماؤها، وتتنوع تجلياتها، هي ربة الحياة، ومانحة الخصب وسيدة الكون، تقول صلاة سومرية مرفوعة إلى الإلهة الأم "إنانا":

"سيدة النواميس الكونية، أيتها النور المشع، يا واهبة الحياة وحببية البشر، أنت أعظم من كبير الآلهة "أن"، وأعظم من الأم التي ولدتك، يا مليكة البلاد الحكيمة العارفة، يا مكنزة المخلوقات"<sup>(١٦)</sup>.

وتقول ترتيلة بابلية في عشتار:

"لك الحمد يا أرحم الإلهات، لك الإجلال يا سيدة البشر، وأعظم الآلهة، عشتار مالها في عظمتها قرين، بيدها مصائر الموجودات جميعاً، لها الدعاء، واسمها الأول بين الأسماء"<sup>(١٧)</sup>.  
وتقول "إيزيس" الأم المصرية واصفة نفسها :

"أنا أم الأشياء جميعاً، سيدة العناصر، وبائدة العوالم ... يعبدني العالم بطرق شتى وتحت أسماء شتى، أما اسمي الحقيقي فهو "إيزيس" به توجهوا إلي بالدعاء"<sup>(١٨)</sup>.

وسأدعو في هذا البحث إلهة الخصب هذه باسمها البابلي عشتار، نظراً لإصولها السامية التي تمت للعرب بصلة، ولشهرتها بين الباحثين والانتروبولوجيين والقراء، ولأن الطقوس والمعتقدات الخاصة بها عند الشعوب هي عينها طقوس عشتار البابلية.

كانت عشتار تجسداً لقوة الإخصاب الكونية، وروح النبات، وكان غيابها وعودتها يمثلان دورة الحياة النباتية في الطبيعة، إذ بغيابها عن عالم الأحياء تجف الأرض، ويتوقف النسل، وتتعطل كل مظاهر الحياة المتجددة، ولقد كانت الملحمة السومرية "هبوط إنا إلى العالم الأسفل" أول ملحمة في التاريخ خطتها يد الإنسان لتفسير هذه الدورة النباتية، تلك الملحمة التي أعاد البابليون صياغتها في أسطورة "هبوط عشتار إلى العالم الأسفل" تقول هذه الأسطورة :

"ولما نزلت السيدة إشتار إلى الأرض التي لا يعود منها من يدخلها،

لم يعل الثور البقرة، ولم يقرب الحمار الأتان

والفتاة في الطريق لم يقترب منها الرجل

ونام الرجل في حجرته

ونامت الفتاة وحدها"<sup>(١٩)</sup>

بهذه الكلمات وُصف غياب عشتار ونزولها إلى العالم الأسفل، أما عودتها فكانت مقرونة بعودة الحياة، ونمو النبات، وكثرة التناسل، يقول فراس السواح: أود أن ألفت النظر لخطأ شائع يقع فيه الكثيرون عندما يتحدثون عن الإله تموز، فيصفونه بأنه الحياة الزراعية

المتجددة، أو الدورة الطبيعية السنوية، والواقع أن غياب الحياة عن الزراعة وجفاف الأرض هو تعبير عن القوة الإخصابية الواهبة للحياة والمتمثلة بـ "إنانا" أو "عشتار" ... إن الطقوس والعبادات التي سميت تموزية من قبل الباحثين خطأ، هي طقوس وعبادات عشتارية، وليس النواح على تموز في مواسم أعياده إلا مشاركة من العباد لعشتار في أحزانها، ولا نستطيع أن نطلق على تموز صفة إله الخصب إلا مجازاً وكنياً<sup>(٢٠)</sup>.

وكما كانت عشتار إلهة الخصب والحب ومتع الحياة، كانت كذلك إلهة الموت والحرب والهلاك، من ألقابها "نجمة العويل" و"سيدة المعارك" و"سيدة النواح" و"سيدة الليل" و"المأكرة" و"المنتصرة"، مثلتها الأعمال الفنية البابلية في عدة الحرب الكاملة، تقف على أسدين، تحمل أسلحتها: القوس والكنانة والسيف، وتظهر فوق رأسها النجمة الثمانية، كما يظهر بالقرب منها مشهد لوعلين متشابكين<sup>(٢١)</sup>.

وتظهر "عشتارت" في الميثولوجيا السورية على إحدى المسلات "مقاتلة عارية فوق فرس وقد شددت عنانه على جسدها، ترمي بنبله من قوس ... وهناك مشهد آخر للإلهة وهي عارية إلا من قلادة في عنقها، وخواتم في أصابعها، تمتطي جواداً، وتلوح بسلاح في يدها"<sup>(٢٢)</sup>. تقول ترتيلة بابلية واصفة عشتار سيدة المعارك والدمار:

"أنت ربة كل سلاح، ولك الأمر الفصل في المعارك

أنت سبب العويل والنواح، تزرعين العداوة وتفريقين بين الأخوة،

أي "جوتيرا" أنت متمنقة بالمعارك، متشحة بالرعب والهول

لذكر أسماك تهتز السماوات والأرض

يرتجف الآلهة، وتترنح أرواح البشر"<sup>(٢٣)</sup>

وفي نشيد ارتقاء عشتار يقول المنشدون:

اجعلي الجبوش، يا سيدة المعارك لا تتجابه وتتصادم

يا إلهة جولات القتال، قودي المعركة،

وكأنها مجموعة دمي تحركها يدك

أي إينين، في كل مكان يعرف صليل السلاح والمذبحة

اجعلي البلبلة لعبتك وكأنك ترمين النرد" (٢٤)

وفي أسطورة "بعل" الأوغارتية، تكشف إلهة الخصب "عناة" عن وجهها الأسود، وقوتها  
الأنثوية المدمرة، فتقول الأسطورة في وصفها :

حاربت المدن

سحقت سكان السواحل

غلبت رجال الشرق

تحتها الرؤوس مثل الكور

أكف المحاربين مثل تلال القمح

في احتدام القتال

الرؤوس حول خصرها

ركبتاها غطست بدم الحراس

النجيع جمد على رداها" (٢٥)

وكان للإلهة "أفروديت" وجهها الأسود أيضاً، فأداتها التي تزرع بوساطتها الحب في  
قلوب البشر، هي نفس السهام التي تؤدي إلى التهلكة، وقد عبدت في اسبرطة وقبرص إلهة  
للحرب والمعارك، وصورت في عدة الحرب الكاملة، كما عبدت إلهة للموت تحت اسم  
"افروديت المقابر" (٢٦).

كما أذكت "فينوس" نار حرب طروادة، وجعلت الآلهة ينقسمون على أنفسهم إلى فريقين  
متحاربين، فريق مع الطرواد، وآخر مع الإغريق، وانضمت إلى فريق الطرواد الذي مثل قوة  
الشر والطغيان والاعتداء (٢٧).

وقد حاول بعض الباحثين تفسير هذه الازدواجية في شخصية عشتار، فمنهم من ردها إلى صلة عشتار الأم الكبرى بحياة الإنسان "سواء عندما يفنى في خضم المعركة، أو عندما يخلق من لهيب العاطفة واتصال الجنسين"<sup>(٢٨)</sup>، ومنهم من عزاها إلى ظهور الزهرة (رمز عشتار) أحياناً في المساء، وأحياناً أخرى وقت السحر، فاعتبروها إلهة الحب واللذة حين تكون إلهة المساء، وإلهة الحرب والدمار حين تكون إلهة الصباح<sup>(٢٩)</sup>، ويرى الأستاذ فراس السواح أن الأساطير القديمة تظهرها "تارة ابنة لسن إله القمر وتارة ابنة لأنو إله السماء، فكابنة لأنو كانت عشتار إلهة للخصب والحب ومتع الحياة، وكابنة لسن القمر حاكم الليل، كانت إلهة للدمار وسيدة للحرب والمعارك"<sup>(٣٠)</sup>.

وعندما انهارت الديانة العشتارية، وحلت محلها آلهة الشمس الذكور، بقي وجه عشتار الأبيض وتفتتت صورتها السوداء، وتبعثرت في الحكايات الفولكلورية " ففي الغرب هي الساحرة العجوز الشمطاء، التي تركب عصا المقشدة طائرة في الهواء، وفي بلادنا هي "النهالة" مصاصة الدماء، وهي "الساوية" خاطفة الأطفال، وهي "الغولة" آكلة البشر التي احتفظت بلقب الأم حيث يشير إليها الناس دوماً على أنها ... أمنا الغولة"<sup>(٣١)</sup>.

### صدى الأم الكبرى في الشعر الجاهلي

أكثر الشعراء الجاهليين من ذكر الدمى والتمائيل في أشعارهم، وربطوا بينها وبين المرأة فقال النابغة<sup>(٣٢)</sup>:

أو دمية في مرمر مرفوعة

بنيت بأجرٍ يُشاد وقرمـد

وقال الأعشى<sup>(٣٣)</sup> :

كدمية صور محرابها

بمذهب في مرمر مائـر

وقال بشر بن أبي حازم<sup>(٣٤)</sup> :

## كأن على الحوج مخدرات

## دمى صنعاء خط لها مثال

وفي تكرار<sup>(٣٥)</sup> تشبيه المرأة بالدمية أو التمثال، ما يشي بعلاقة رمزية تكمن وراء العلاقة الظاهرة بين الطرفين؛ إذا نظرنا إلى التشبيه في الشعر الجاهلي على أنه ليس للترزين أو التوضيح وإنما "يضرب في أعماق الوجود الإنساني الذي يسعى إلى اقتناص الحقيقة"<sup>(٣٦)</sup> "فالتمثال له مقابيس وأبعاد ينبغي ألا يخل بها الشاعر، لأن هذا التمثال له ارتباطات دينية ينبغي أن يحافظ الشاعر على آثارها، مهما كانت هذه الآثار باهتة أو موغلة في القدم"<sup>(٣٧)</sup> أما الدمية فما زال معناها اللغوي يحمل آثاراً دينية، فهي تعني الصنم أو الصورة المنقوشة من الرخام<sup>(٣٨)</sup>.

وفي ظني أن هذه التماثيل والدمى، تصاوير لربات عبدها الجاهليون، فهل يقدر الوثني - كما يقول الدكتور نصرت عبد الرحمن - "على تشبيه المرأة بما يعبد إن لم يكن للمرأة الموجودة في الشعر شيء من القداسة"<sup>(٣٩)</sup>، وهل كانت هذه التماثيل والدمى امتداداً لدمى الأم الكبرى وتماثيلها الأنثوية التي ذكرناها من قبل؟ وبخاصة أن الجاهليين خلعوا على المرأة أوصاف تلك الإلهة الأم، وربطوا الخصب بالمرأة، وعلقوا بقاءهم في المكان بوجودها فيه، لأنها تهبه الحياة وتملؤه بهجة وحيوية، وإذا رحلت رحلوا، ورحيلها يحيل المكان إلى طلل مقفر يسكنه الموت، ويسيطر عليه الجذب، تلعب به الرياح والأمطار، وتسرح فيه الحيوانات الأبدية البرية، فترددت في أشعارهم ألفاظ مثل: "عفت" و"أقوت" و"رسم" و"دمنة" و"قفر" و"البلى" و"داثر" و"هامد" وكلها تدل على الموت والفناء، فأى امرأة حقيقية تلك التي تقفر ديارها إذا رحلت عنها وتصير خراباً؟!

ثم إننا لا نجد - في الأغلب الأعم - عند هؤلاء الشعراء أطلاقاً من غير امرأة، وهم ينسبون هذه الأطلاق إلى إناث مثل: سلمى، وهند، والرباب، وأم أوفى، وأسماء، وسليمي، وأم معبد، ومية، وسعاد، وهند، وخولة، وغيرهن.

وتتبدى قداسة هذه المرأة في قوتها الخارقة، وقدرتها على بعث الحياة في الموتى إذا

أسندتهم إلى صدرها، وغذتهم بلبن الحياة من ثدييها :

لو أسندت ميتا إلى نحرها

عاش ولم ينقل إلى قابر

حتى يقول الناس مما رأوا

يا عجباً للميت الناشئ<sup>(٤٠)</sup>

ويؤكد القرآن الكريم عبادة العرب الأم الكبرى الأنثى في قوله عز وجل : "إن يدعون من دونه إلا إناثاً"<sup>(٤١)</sup>، ففي الآية الكريمة بيان تطور لفظة الأنثى من معنى الإلهة إلى معنى الصنم إذ يقول ابن منظور: "لم يكن حي من أحياء العرب إلا وله صنم يعبدونها يسمونها أنثى بني فلان، وفسر الإناث في الآية الكريمة السابقة بقوله : كل شيء ليس فيه روح مثل الخشبة والحجارة"<sup>(٤٢)</sup>.

واستدل روبرت سميث من تسمي بعض القبائل العربية بأسماء مؤنثة مثل: مدركة، وطابخة، وخندف وطاقنة وجديلة ومرة وأمثالها، ومن وجود بعض الكلمات في سلسلة الأنساب مثل: البطن، والفخذ، والصلب، والظهر، والدم، والرحم، على وجود دور الأمومة عند العرب لأن لهذه الأسماء صلة وعلاقة بجسم الأم"<sup>(٤٣)</sup>.

ولقد احترمت العرب المرأة الولود، مكثرة النسل، وضربوا بها المثل فقالت : أنجب من أم البنين وهي بنت عمرو بن عامر جدة لبيد بن ربيعة لأبيه، وأنجب من عاتكة وهي بنت هلال بن مرة، وأنجب من بنت الخرشب وهي فاطمة الأثمارية زوج زياد العيسى<sup>(٤٤)</sup>، ولإنجابها مدحها الشعراء ولقبوها بالجنية فقال حاتم الطائي<sup>(٤٥)</sup> :

لعمرك، ما أضاع بنو زياد

نمار أبيهم، فيمن يُضيع

بنو جنية ولدت سيوفاً

صوارم كلها نكر صنيغ

وكانت المرأة العاقر - مهما بلغ حسنها وجمالها - معرضة للطلاق أو لابتزاز الضرائر

زوجها، قال معقر البارقي<sup>(٤٦)</sup>

لها ناهض للوكر قد مهددت له

كما مهددت للبعل حسناء عاقر

تخاف نساء بيتزرن حليها

محرمة قد أحردها الضرائر

ولذا كانت تلجأ إلى بعض الطقوس السحرية كي تتجنب، ومنها العبور فوق جثة القتيل الشريف سبع مرات، قال بشر بن أبي خازم الأسدي في رثاء رجل من قومه<sup>(٤٧)</sup> :

تظل مقاليت النساء يطأنه

يقلن : ألا يُلقى على المرء مئزرُ

ولا تزال النظرة القديمة إلى المرأة المخصبة ماثلة عند قبائل " الباجندا" في وسط أفريقيا، حيث يربط أبناؤها بين خصب المرأة وخصب الأرض، فيسرحون الزوجة العاقر لأن وجودها يصيب الأشجار التي يملكها الزوج بالعقم، بينما يعتبر الزوجان المتئمان علامة على التمتع بالخصوبة ومن ثم القدرة على زيادة الثمار<sup>(٤٨)</sup>.

وتبدو صورة المرأة في الشعر الجاهلي متقلبة بالرموز الأسطورية القديمة فقد جمع الشعراء لها صفات الأمومة والخصوبة، وذكروا من رموزها الطبي والنخلة والدرة والشمس والبيضة، وكلها تبرز صورة الأم المقدسة بشكل غير واع مما يدل على تواجد هذه الصورة في اللاشعور الجمعي العربي.

وكما ارتبطت المرأة بالحياة والخصب في الفكر الجاهلي، ارتبطت كذلك بالحرب والدمار، فصورة الربة المحاربة التي عرفتها الديانات القديمة لم تكن غريبة عن مخيلة الإنسان الجاهلي، الذي عقد صلة بين الأنثى والحرب لغة وتصويراً، فالحرب أنثى في العربية وليست ذكراً<sup>(٤٩)</sup>، و"العوان" صفة مشتركة بينهما، فهي المرأة الثيب النصف في سنها التي تزوجت وجربت في مقابل البكر، وهي الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة<sup>(٥٠)</sup>، ولعل هذه الصفة قد تحرفت من (عناة) إلهة الخصب والحرب الكنعانية، وقد وردت في شعر زهير بن

أبي سلمى شاعر السلم والحرب في الجاهلية في قوله<sup>(٥١)</sup> :  
إذا لقت حرب عوان مضرة

ضروس تهر الناس أنيابها عصل

وفي شعر عبيد بن الأبرص في قصيدة له يخاطب فيها امرأ القيس بعد مقتل أبيه  
حجر<sup>(٥٢)</sup>:

ونسير للحرب العوان إذا بدت

حتى تلف ضرامها بضرام

وفي قول عنتر بن شداد<sup>(٥٣)</sup> :

فإن تك حربكم أمست عوانا

فإني لم أكن ممن جناها

فالحرب أنثى تلقح بعد حيال كما يقول الحارث بن عباد<sup>(٥٤)</sup> :  
قربا مربوط النعامه مني

لقت حرب وائل عن حيال

تحمل وتلد، ترضع وتقطم، وهي مخصبة منتمة، بيد أن غلمانها غلمان شوم، وغلالها  
الدماء المسفوكة التي تضاهي ما أنتجت أرض العراق الخصبة<sup>(٥٥)</sup> :

فتعركم عرك الرحي بثقالها

وتلقح كشافاً ثم تنتج فتنتم

فتنتج لكما غلمان أشام كلهم

كأحمر عاد ثم ترضع فتقطم

فتغلل لكم ما لا تغل لأهلها

قري بالعراق من قفييز ودرهم

وتتضح صورة المرأة التي تسربت عناصرها من العقيدة القديمة في قول امرئ القيس

مشاكلاً بين المرأة والحرب<sup>(٥٦)</sup> :

الحرب أول ما تكون فتية

تسعى بزيتها لكل جهول

حتى إذا استعرت وشب ضرامها

عادت عجوزاً غير ذات خليل

شمطاء جزت رأسها وتكترت

مكروهة للشم والتقيل

فهذه الصورة التي رسمها امرؤ القيس للحرب/ المرأة، تكاد تتطابق مع صورة عشتار بوجهيها: الأبيض، حين تكون عوانا فتية، جميلة، تغوي عشاقها وتغري بهم، والأسود، حين تحولت في المأثور الشعبي إلى المرأة الساحرة، أو العجوز الشمطاء، أو الأم الغولة مصاصة الدماء، إنها صورة " البسوس " التي أشعلت تلك الحرب الضروس بين بكر وتغلب أربعين عاماً، حين اغتيلت ناقثها السائبة المقدسة التي توحدت مع ناقثة صالح عليّة السلام في الفكر الجاهلي.

في ظل هذا الفهم للأنثى، فإن ما ذكره الألوسي عن العرب بأنهم " كانوا في الحرب، ربما أخرجوا النساء فبلن بين الصفين، يرون أن ذلك يطفئ نار الحرب ويقودهم إلى السلم، قال بعضهم :

لقونا بأبوال النساء جهالة

ونحن نلاقيهم ببيض قواضب

وقال الآخر :

هيات رد الخيل بالأبوال

إذا غدت في صور السعالي<sup>(٥٧)</sup>

لا يغدو من أعاجيبهم، ومن مذاهبهم الغربية كما يقول، وإنما هو موروث قديم، يرتبط بطقس من طقوس الأم الكبرى عشتار مانحة الموت والحياة، إذ يغدو فرج المرأة المنجب هو

القادر الوحيد على استمرارية الحياة وحفظ الجنس البشري من الهلاك من خلال إيقاف الدم المسفوح بالبول المنبعث منه.

وينساق في هذا السياق، دور بيهسة بنت أوس، زوج الحارث بن عوف المري، في إطفاء نار الحرب بين عبس وذبيان، إذ قالت لزوجها حين أراد أن يبني بها : أتفرغ لنكاح النساء والعرب تقتل بعضها - أخرج إلى هؤلاء القوم، فأصلح بينهم، ثم ارجع إلى أهلك، فلن يفوتك»<sup>(٥٨)</sup>.

### عشتار (الزهرة) ربة العشق والجنس واللهو

حين ارتقى العقل البشري، وارتفع نحو التجريد، اتخذ للآلهة رموزاً في السماء فجعل لكل منها رمزاً يتمثل في نجم أو كوكب أو مجموعة من النجوم، جاء في اللوح الخامس من أسطورة الخلق البابلية : "أن النجوم هي صور الآلهة وهي رموزها"<sup>(٥٩)</sup>.

ولما كانت " عشتار " في نظر الإنسان القديم من أهم الآلهة وأعظمها، لأنها الأم الكبرى، والقوة العظمى المحركة لأحداث الكون، فقد تمثلها في "الزهرة" أجمل كواكب المجموعة الشمسية وأمعها، وتميزها بالحسن والبهاء والجمال، فسامها السومريون "إنانا" أي سيدة السماء، حيث "إن" تعني سيدة، و"آن" تعني السماء<sup>(٦٠)</sup>، أما العرب فقد أطلقوا عليها "النجم الثاقب" وفي اللهجة المهرية تسمى "كبكيب نوير" أي النجم المنير أو "زهر" أي النجم، وعند العبريين تسمى "كوكب أور" أي النجم المضيء، وعند الأراميين "كوكب نوجا" أي النجم المضيء، وعند البابليين "نجيتو جيتملتو شوترتو" أي النور التام العظيم، أو "شرت ككابي" أي ملكة النجوم<sup>(٦١)</sup> وهي عند معظم الشعوب القديمة تلقب بـ "ملكة السماء"<sup>(٦٢)</sup>، وقد خلد الأدب البابلي صعود عشتار إلى السماء وارتقاءها عرش الملوكية ممثلة في كوكب الزهرة في نشيد ارتقاء عشتار، وفيه :

" إلى هذه المكانة أي عشتار ارتقي

ارتقي إلى الملكية عليهم جميعاً

أي إنين، كوني أنت الأكثر لمعاناً بينهم  
وليطلقوا عليك تسمية " عشتار - الكواكب"  
وبسمو وإلى جوارهم  
فليتبدل مكانك إلى المكان الأعلى" (٦٣)

اشتهرت على مر الأزمان إلهة للحب والجمال، وربة للعشق، وملكة للذة، وسيدة للدافع الجنسي، وارتبطت عبادتها بالعاهرات المقدسات المعروفات بالعشتاريات، ومن طقوس عبادتها البغاء المقدس الذي كان يقام في معابدها مدداً للقوة الإخصابية الكونية، ودعماً لها، وذلك لإخصاب الطبيعية والأرض، وللمحافظة على استمرارية الوجود، وتواصل الحياة.

فعشتار الزهرة، هي البغي المقدسة، ومركز الطاقة الجنسية العارمة التي لا تهدأ، لأن في سكونها همود لعالم الحياة، تقول واصفة نفسها: " أنا العاهرة الحنون، وأنا من يدفع الرجل إلى المرأة، ويدفع المرأة إلى الرجل" (٦٤).

شخصتها الديانات الوثنية في صور شتى لأمرأة عارية (٦٥)، وأقامت لها المعابد في جميع أنحاء العالم القديم لممارسة الجنس المقدس فيها، يقول هيروdot : "ينبغي لكل امرأة بابلية أن تجلس في هيكل الزهرة مرة في حياتها، وأن تضاجع رجلاً غريباً... وكان عليها ألا تعود إلى منزلها حتى يُلقى أحد الغرباء قطعة من الفضة في حجرها، ويضاجعها في خارج المعبد" (٦٦)، ويقول جيمس فريزر : "ويظهر أن العرف في قبرص سابقاً، كان يلزم جميع النساء قبل الزواج أن يضاجعن الغرباء في هيكل الإلهة سواء كان اسمها أفروديتي، أو عشتاروت... ومهما يكن الدافع لذلك، فإنه لم يكن مجرد انغماس في الفسق الشهواني بل كان واجباً دينياً خطيراً يقام به خدمة للإلهة الأم العظمى" (٦٧).

وذكر المقريري في خططه أن الملك " تدراس بن حيا" أحد ملوك مصر القدماء، بنى للزهرة بيتاً عظيماً في غربي مدينة "منف"، وأقام فيه صنماً عظيماً في صورة امرأة، جعل

بحذائه بقرة ذات قرنين وضرعين<sup>(٦٨)</sup>، وقد انتشرت معابدها في فينيقيا وقبرص وأرمينيا واليونان وبلاد كنعان وعند العبريين.

كان يرمز للزهرة في المنحوتات والأختام القديمة بنجمة ثمانية، وقد يندمج هذا الرمز برموز آلهة سماوية أخرى مثل القمر وقرص الشمس<sup>(٦٩)</sup>، ونظراً لظهورها المتناوب في السماء، تارة عند الغروب، وتارة قبل الشروق - تبعاً لدورانها حول الشمس - فقد سموها ربة المساء وربة السحر<sup>(٧٠)</sup>، فاعتبروها إلهة الحب واللذة في المساء، وإلهة الحرب والقتل في الصباح.

انتقلت عبادتها من بلاد الرافدين إلى الكنعانيين فعرفت عندهم باسم "عناة أو عستارت" وفي فينيقيا شمالاً عرفت باسمها الآشوري "استار" ومع الفينيقيين عبرت البحر غرباً، فعرفت في بلاد اليونان باسم "أفروديت" وفي روما باسم "فينوس" وكانت تعبد هناك باعتبارها إلهة بحرية، فسموها "نجمة البحر"، وذكروا أن ولادتها كانت على شواطئ فينيقيا من زبد البحر حوتها صدف، ودفعتها الرياح إلى شطآن جزيرة قبرص<sup>(٧١)</sup>.

وفي الحكايات التي يرويها الإيشيهي عن بنات الماء، ما ينبئ باحتفاظ الذاكرة العربية شيئاً من صفات عشتار البحرية، فيصفهن بقوله: "أمة ببحر الروم يشبهن النساء، ذوات شعور وتديّ وفروج، وهن حسان، ولهن كلام لا يفهم، وضحك ولعب... ويقال: إن الصيادين يصطادونهن ويجامعونهن، فيجدون لذة عظيمة لا توجد في غيرهن من النساء، ثم يعيدونهن في البحر ثانياً"<sup>(٧٢)</sup>، ومن هذه الحكايات "أن رجلاً من الأندلس اصطاد جارية منهن حسناء الوجه، كاملة الأوصاف، فأقامت عنده سنين، وأحبها حباً شديداً، وأولدها ولداً ذكراً، وبلغ من العمر أربع سنين، ثم إنه أراد السفر فصحبها معه، ووثق بها، فلما توسطت البحر أخذت ولدها وألقت نفسها في البحر، فلما كان بعد ثلاثة أيام ظهرت له، وألقت له صدفاً كثيراً فيه در ثم سلمت عليه وتركته"<sup>(٧٣)</sup>.

وارتبطت الزهرة عند العرب بالأم الكبرى عشتار، وشخصوها في الصنم المعروف بـ "العزى"، ولم تختلف صفاتها وطقوس عبادتها عند العرب عنها عند الأمم الأخرى، فهي تحمل

معاني البياض والإشراق والبهجة والحسن والجمال، واطلقوا عليها "كوكب الحسن وملكة السماء"<sup>(٧٤)</sup>، فالزهرة كما يقول ابن منظور هو البياض النير، وهو أحسن الألوان، والأزهر : الأبيض المستنير، ومن الرجال الأبيض العتيق البياض، وهو أحسن البياض كأن له بريقاً ونوراً، والزاهر : الحسن الأبيض من الرجال، ورجل أزهر أي أبيض حسن مشرق الوجه، والزهرة : الكوكب الأبيض، والأزهران : الشمس والقمر، والأزهر : الثور الوحشي، والزهاء : البقرة الوحشية، والمزهر : العود الذي يضرب به، وقضيت من زهري أي وطري وحاجتي<sup>(٧٥)</sup>.

ويلاحظ مما ساقه ابن منظور أن العربية - حارسة التراث السامي - قد ربطت بين الزهرة والبياض والشمس والقمر والثور والبقرة الوحشية والغناء والجنس، وكلها رموز مقدسة في المعتقدات القديمة، واحتفى العرب باللون الأبيض فكلف الشعراء به، واستخدموه في أشعارهم أكثر من غيره من الألوان، وأخذوا منه صفات الرفعة والسمو والطهر والنقاء، فوصفوا به وجوه الشخصيات الإنسانية التي كانت موضع إجلال وتقديس في مجتمعاتهم، كالملوك والسادة والأبطال، تلك الشخصيات التي عبدت في الديانات القديمة برمتها، نتيجة وضعها المتميز في المجتمع حيث أخذت صورة الرمز أو البديل للمعبود<sup>(٧٦)</sup>.

يقول زهير بن أبي سلمى واصفاً هرم بن سنان<sup>(٧٧)</sup> :

أغر أبيض فياض بككك عن

أيدي العناة وعن أعناقها الريقا

وتقول الخنساء في رثاء أخيها صخر<sup>(٧٨)</sup> :

أغر أزهر مثل النبر صورته

صاف عتيق فما في وجهه ندب

ويقول الأفوه الأودي<sup>(٧٩)</sup> :

بمناقب ببيض كأن وجوههم

زهر قبييل ترجل الشمس

ومن الباحثين من أخذ من اللون الأبيض بعده الديني، وجعله صفة للرجل المثال الكامل في الشعر الجاهلي؛ فربط من خلاله بين السيد وبين القمر والثور الوحشي<sup>(٨٠)</sup>.

وكما وصف الرجل المثال باللون الأبيض، كذلك وصفت المرأة المثال بالبياض وبخاصة المائل إلى الصفرة، ومنه لون الدرة والبيضة والشمس، يقول الأعشى<sup>(٨١)</sup> :

كأنها درة زهراء أخرجها

غواص دارين يخشى دونها الغرقا

ويقول امرؤ القيس<sup>(٨٢)</sup> :

مهفهفة بيضاء غير مفاضة

ترائبها مصقولة كالسجنجل

كبكر مقاناة البياض بصفرة

غذاها نمير الماء غير المحلل

ويقول المخبل السعدي<sup>(٨٣)</sup> :

كعقيلة الدر استضاء بها

محراب عرش عظيمها العجم

أو بيضة الدعص التي وضعت

في الأرض ليس لمسها حجم

وتنتاهى صورة محبوبة امرئ القيس في صورة الزهراء/ البقرة الوحشية حين يقول<sup>(٨٤)</sup> :

تمشي كمشي الزهراء في دمث الـ

رمل إلى السهل دونه الجرف

ونسب العرب إلى الزهرة دوافع العشق والجنس "فسماها المنجمون بالسعد الأصغر، وأضافوا إليها الطرب والسرور واللهو، كما أن النظر إليها مما يوجب فرحاً وسروراً وزعموا

أن من شأنها الشبق والباه والألفة، حتى لو نكح رجل امرأة والزهرة حسنة الحال وقع بينهما من المحبة والألفة ما يتعجب منه<sup>(٨٥)</sup>.

ومما يؤكد أن الزهرة إلهة الجنس والإخصاب عند العرب، ما ذكره الألويسي من مذاهبهم "أن المرأة منهم كانت إذا عسر عليها خاطب النكاح، نشرت جانباً من شعرها، وكحلت إحدى عينيها مخالفة للشعر المنشور، وحجّلت على إحدى رجليها، ويكون ذلك ليلاً وتقول: يا لكاح: أبغي النكاح. قبل الصباح، فيسهل أمرها وتزوج"<sup>(٨٦)</sup>، قال الراجز:

تصنعي ما شئت أن تصنعي

وكحلي عينيك أو، لا فدعي!

ثم احجلي في البيت أو في المجمع

ما لك في بعل أرى من مطمع<sup>(٨٧)</sup>

وقال الآخر:

قد كحلت عينا وأعفت عينا

وعجّلت ونشرت قرينا

تظن زينا ما تراه شينا<sup>(٨٨)</sup>

وكان للزهرة معبد في اليمن بناه الضحاك في مدينة صنعاء، وهو البيت الخامس من البيوت السبعة المعظمة في العالم يسمى "بيت غمدان"<sup>(٨٩)</sup>، وفي أعيادها كانت تقام الاحتفالات والأفراح المختلطة<sup>(٩٠)</sup>.

ويذكر ابن الجوزي أن قربان الزهرة كان عجوزاً شمطاء ماجنة يقدمونها بين يديها، وينادون حولها: أيتها الإلهة الماجنة، أتيناك بقربان، بياضه كبياضك، ومجانته كمجانتك، وظرفة كظرفك، فتقبّلها منا، ثم يأتون بالحطب فيجعلونه حول العجوز، ويضرمون فيه النار إلى أن تحترق، فيحترق رمادها في وجه الصنم<sup>(٩١)</sup>.

ويوم الجمعة هو يوم الزهرة المقدس وكان يسمى "عروبة"، وتحمل معاني مشتقات هذا الأسم بعضاً من صفات الزهرة وخصائصها، فالعرابة والإعراب : النكاح، والعربة والعروب: المرأة الضحاكة، والحسنة، والعاشقة، والغنجة، والحريصة على اللهو، والخائنة بفرجها<sup>(٩٢)</sup>، وقد أشار قيس بن الخطيم إلى هذه الصفات في قوله<sup>(٩٣)</sup> :

فيهم لعوب العشاء آنسة الـ

دل، عروب يسوءها الخلف

ومما يدل على أن يوم الجمعة هو يوم الزهرة عند العرب حتى بعد الإسلام ما ذكره صاحب اللسان من أن اليوم الأزهر هو ليلة الجمعة ويومها، ثم أورد قول الرسول ﷺ "أكثرُوا الصلاة علي في الليلة الغراء واليوم الأزهر"<sup>(٩٤)</sup>، ولنا أن نتساءل لماذا ذكر ابن منظور ليلة الجمعة ويومها؟ ونحن نعلم أن اليوم عند العرب يدل على النهار وحسب.

واحتفظ اللسان الأوروبي بيوم الجمعة يوماً للزهرة فسمى هذا اليوم (Friday) أي يوم الراحة، ويوم عبادة الإلهة الكبرى عندهم، ولا تخفى العلاقة بين هذا الاسم و Frodait زهرة اليونانيين القدماء<sup>(٩٥)</sup>.

وقد أشار عمرو بن قميئة إلى قداسة هذا اليوم عند العرب فقال<sup>(٩٦)</sup> :

وقد بزّ عنه الرجل ظلماً ورملاً

علاوته يوم العروبة بالدم

وفي الكتابات الإسلامية المتأخرة تبرز الزهرة في النصوص الدينية الشيعية الكوكب الثالث من الكواكب السيارة التي رافقت زحل في تدبير خلق الكون والإنسان بأمر من المدبر تعالى "ثم إن الزهرة رافدت زحل ألف سنة خامسة، فخرمت خمائر العرب والنساء، وأهل اللهو والطرب، ونبعت العيون العذبة، فنزلت الأمطار معتدلة، وظهرت في تدبيرها الأشجار المثمرة الطيبة الروائح، وظهرت الطير، وانتشرت في الهواء، وتكونت الحيوانات المعتدلة الناقصة، وكل ذلك مقدمة لظهور الشخص البشري"<sup>(٩٧)</sup> وواضح من هذا النص وإن كان ذا

صبغة فلسفية في تصوير الخلق وأصل الوجود إلا أنه يعتمد على الأساطير الكوكبية المتوارثة من الشعوب القديمة.

كانت الزهرة - قبل مسخها - في الأسطورة العربية امرأة جميلة فاتنة تعيش على الأرض قبل أن تصعد إلى السماء وتتحول إلى ذلك الكوكب اللامع، ووردت أسطورة الزهرة العربية في كتب التفسير وقصص القرآن الكريم في تفسير قوله تعالى : (وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت) <sup>(٩٨)</sup>، مع أن السورة الكريمة ليس فيها ذكر للزهرة، وذكر الملكان دون الإشارة إلى قصة تتعلق بهما، مما يدل أن خيال المفسرين قد استمد قصصاً قديمة كانت متداولة في أذهان معاصريهم.

وملخص الأسطورة أن الملائكة أخذت تشكو ضلال البشر وفجورهم بعد نزول آدم عليه السلام، فأراد الله عز وجل أن يبثلي الملائكة أنفسهم، فأمرهم باختيار ملكين من أكثرهم نقاوة وزهداً، فاختاروا هاروت وماروت وأهبطا إلى الأرض، فعرضت لهما امرأة جميلة، فأقبلا عليها، وراوداها عن نفسها، فأبى إلا أن يكونا على أمرها ودينها، وأخرجت لهما صنماً يعبدانه ويسجدان له، فامتنعا، ثم أتياها ثانية، فتمنعت، واشترطت عليهما إحدى ثلاث : إما عبادة الصنم، أو قتل النفس، أو شرب الخمر فاختارا شرب الخمر، فسقتهما حتى إذا أخذت الخمر منهما، وقعا بالزهرة، ويمر بهما إنسان، فيخشيان الفضيحة، فيقتلانه، فأرادا العودة إلى السماء بعد أن عرفا وقوعهما في الخطيئة، فلم يستطيعا، فطلبت منهما المرأة تعليمها الكلام الذي يصعدان به، ففعلا، وعرجت إلى السماء، وهناك نسيت ما تنزل به، فبقيت في مكانها، وجعلها الله ذلك الكوكب الجميل، أما هاروت وماروت فخيروا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، فجعلوا ببابل يعذبان منكوسين في بئر إلى يوم القيامة <sup>(٩٩)</sup>.

وتتضح في هذه الأسطورة بعض (الموتيفات) والآثار الدراسة من شخصية عشتار باعتبارها إلهة للحب والجنس والزهرة، فالمرأة مشهورة بالجمال والقدرة على فتنة الرجال، ارتقت إلى السماء كما ارتقت عشتار، وهي في رواية الثعلبي ملكة، وكانت بغياً كما تذكر بعض الروايات <sup>(١٠٠)</sup>، أغوت الملكين مثلما حاولت عشتار إغواء جلجامش، وفي شرب الملكين

الخمرة إشارة إلى طقوس السكر التي ارتبطت بعبادة عشتر، وفي نهاية الملكين التبعة حيث نكسا في بئر ببابل ما يشبه مصير الإله تموز ونزوله إلى العالم الأسفل من بئر في بلاد بابل. ولعل في هذه الأسطورة وفي الروايات التي سقناها ما يدل على شهرة الزهرة باعتبارها ربة للعشق والجمال، وقدرتها على إغواء الرجال، وأن صورتها هذه لم تك غريبة عن المخيلة العربية، وبذلك يمكن تفسير موقف المسلمين السلبي من هذا الكوكب في مثل ما روي من أن عبد الله بن عمر كان إذا طلعت الزهرة لعنها وقال: "هذه التي فتنت هاروت وماروت"<sup>(١٠١)</sup>، وأن المسلمين كانوا إذا رأوا الزهرة دعوا عليها بقولهم: "لا مرحبا ولا أهلا"<sup>(١٠٢)</sup>.

وتبدو الزهرة ربة للخمر عند الجاهليين، ولا غرو في ذلك، فقد كانت الخمر شراب الآلهة المقدس تقدم قرابين لها، وكانت دم الإله، تشرب في أعياده المقدسة، "وما تزال الخمر تشرب في ممارسات دينية تعيش حتى الآن ممثلة لدم الإله في الأعياد التي تحيي ذكرى موته، ومن لا يشربها بهذه الصفة لا يعد من المؤمنين"<sup>(١٠٣)</sup>.

ونجد في أشعار الجاهليين أثراً واضحة تدل على ارتباط الخمر بالزهرة، فالصبح من أشهر أسماء الخمر<sup>(١٠٤)</sup>، وقد ردد الشعراء الجاهليون هذا الاسم فقال امرؤ القيس<sup>(١٠٥)</sup>:  
أغادي الصبح عند هر وفرتنى

وليداً وهل أفنى شبابي غير هر!

وقال لبيد بن ربيعة وقد جمع بين الخمر والمرأة والغناء<sup>(١٠٦)</sup>:  
وصبوح صافية وجذب كرينة

بموتر أتاله إيهامها

وقال عدي بن زيد<sup>(١٠٧)</sup>:

ثم ثاروا إلى الصبوح فقامت

قينة في يمينها إيريقي

وكانوا يشربونها سحرة قبل شروق الشمس أي عندما تظهر نجمة الصباح "ولعل الكأس في هذه الفترة تكون آخر ما يعاقره الشاعر قبل أن ينصرف، وكأنه أدى الطقس الذي فرضته الزهرة منذ قديم" (١٠٨)، يقول طرفة بن العبد (١٠٩) :

متى تأتني أصبحك كأساً رويصة

وإن كنت عنها ذا غنى فاعن وازدد

ويقول ربعة بن مقوم (١١٠) :

وقتيان صدق قد صبحت سلافة

إذا الديك في جوش من الليل طرباً

ويجمع الحادرة بين الخمر ودم الغزال المقدس والصباح فيقول (١١١) :

بكرُوا علي بسحرة فصبحتهم

من عاتق كدم الغزال مشعشع

كما خلعوا على الخمرة صفات النور والشروق والصفاء والإشعاع والإصباح، فهي صهباء، سميت بذلك لونها إذا ضربت إلى البياض (١١٢)، وهي مشعشة صافية، قال عبيد بن الأبرص (١١٣) :

إذا قلت فاهاً، قلت : طعم مدامة

مشعشة ترخي الأزار قديح

وقال علقمة الفحل (١١٤) :

قد أشهد الشرب فيهم مزهر رنم

والقوم تصرعهم صهباء خرطوم

وتتراعى الزهرة في كوب الخمر أو إبريقها، فيتحدان ويصبح لون الإناء والخمرة من لون الزهرة في قول عنتره (١١٥) :

ولقد شربت من المدامة بعدما

ركد الهواجر بالمشوف المعلم

بزجاجة صفراء ذات أسرة

قرنت بأزهر في الشمال مقدم

وفي قول عبدة بن الطبيب<sup>(١١٦)</sup> :

والكوب أزهر معصوب بقلته

فوق السباع من الرياحان إكليل

ونسبوا أجود أنواع الخمرة إلى بابل حيث عشتار وهيكل الزهرة، وقصة هاروت

وماروت فقال عبدة بن الأبرص<sup>(١١٧)</sup> :

ظلت بها كأنني شارب

صهباء مما عتقت بابل

ولقد كرر الشعراء استخدام هذه الأسماء والصفات تكراراً يخرجها عن التكرار الأسلوبي الذي يستند إلى القيمة البلاغية، ويدخله في دائرة الطقس والمعتقد، لذا فنحن بحاجة إلى ربط المجاز والرمز بأصولهما الأسطورية الموعلة في القدم.

ويتبدى وجه الزهرة (عشتار/المرأة) الأسود عند العرب من خلال علاقتها بالحرب، وما كان يصحب عبادتها من قسوة وموت، إذ كانوا يقدمون إليها القرابين البشرية، وأفضل غنائم حروبهم، يذكر "تيلوس الأكبر (٣٩٠)" - وقد كان راهباً على جبل سيناء - أن العرب "كانوا يقدسون نجم الصباح، ويقدمون له عند طلوعه أحسن ما غنموه، كما أنهم يضحون له أطفالاً جميلة فوق آكام من أحجار وذلك عند وقت الفلق"<sup>(١١٨)</sup>، ويذكر مؤرخ سرياني قديم "أن المنذر الرابع ملك الحيرة ضحى للعزى (الزهرة) ابن الحارث الجفني ملك غسان وقد وقع الولد بيده أسيراً، كما ضحى أربعمائة راهبة أسيرة، كن متنسكات في بعض أديرة العراق"<sup>(١١٩)</sup>. وكان طقس تقديم الأطفال للإلهة عشتار مشهوراً عند الكنعانيين، إذ عثر في معابد "عشتارت الكنعانية" على عشرات الهياكل العظيمة للأطفال تم تقديمها قرباناً للإلهة"<sup>(١٢٠)</sup>.

وهكذا أصبحت الزهرة التي كانت مناطاً للهِو والمجون إلهة دموية ترتبط بالحرب والقتل، يقدم لها الأسرى قرابين بشرية، ومن طقوس العرب في ذلك أنهم إذا لم يقع في يد أحدهم من الأسرى، يذبحون ناقة من العيس خالصة البياض، يبخونها ويدورون حولها ثلاثاً، ثم يتقدم كاهنهم أو زعيمهم بكل رونق، وهم يتغنون بأغانهم، فيضرب بالسيف أوداج الناقة، ويتلقى دمه فيشربه، ثم يركض الباقون، ويقطع كل منهم قطعة من الذبيحة، فيأكلونها نيئة، ويسرعون في ذلك لئلا يبقى شيء من الجزور حتى الجلد والعظم، وذلك قبل طلوع الشمس<sup>(١٢١)</sup>.

وتجمع اللغة بين وجهي ملكة السماء النقيضين من خلال لفظة "الصباح" فصبحه يصبحه صباحاً، سقاه صبوحاً، ... وصبح القوم شراً يصبحهم صباحاً، جاءهم به صباحاً<sup>(١٢٢)</sup>، فتتحول الصبوح/الخمرة (دم الإله ودم الغزال) إلى دم الإنسان والموت معاً في قول عبد الله ابن الزبيري<sup>(١٢٣)</sup> :

وحتى يكون القتل فينا وفيهم

ويلقوا صبوحاً شره غير منجلي

وقول قيس بن الحدادية<sup>(١٢٤)</sup> :

قليت المنايا صبحتني غديّة

بذبح ولم أسمع لبيّن مناديا

ويتراءى كأس الموت كأساً من الخمرة في قول الأعشى<sup>(١٢٥)</sup> :

أذاقوهمو كأساً من الموت مرة

وقد بذخت فرسانهم وأدلت

والقتال تساقيا، وما يتطاير من الخوذ والرؤوس رذاذ الخمرة في قول النابغة<sup>(١٢٦)</sup> :

فهم يتساقون المنية بينهم

بأيديهم بيض رفاق المضارب

يطير رذاذاً بينها كل قونس

ويتبعها منهم فراش الحواجب

ويغدو الصباح رمز الحياة، الموت بحد ذاته في حديث أبي بكر (١٢٧) :  
كل امرئ مصبح في أهله

والموت أدنى من شرك نعله

ويصير يوم الصباح يوم الغارة في قول الأعشى (١٢٨) :  
به تُرْعَف الألف إذا أرسلت

غداة الصباح إذا النقع ثارا

وفتى الصباح فتى الحرب تعبيراً عن البطولة والشجاعة في قول الطفيل الغنوي (١٢٩) :  
تجيء بفرسان الصباح عوابسا

مسومة تردى بكل مقنع

وفي قول عوف بن عطية (١٣٠) :  
ولنعم فتيان الصباح لقيتهم

وإذا النساء حواسر كالعنقر

"والعرب تقول إذا نذرت بغارة تفجؤهم صباحاً : يا صباحاه، يذرون الحي أجمع بالنداء العالي ... وتقولها إذا صاحوا للغارة، لأنهم أكثر ما يغيرون عند الصباح" (١٣١)، وقد كرر الشعراء في سياق حديثهم عن الحرب عبارات مثل "وغداة صبحن" (١٣٢) و"نحن صبحنا" (١٣٣)، و"إذن نصبحهم" (١٣٤)، و"صبحهم" (١٣٥)، و"مع الصبح" (١٣٦)، و"غداة" و"غدوة" و"لذن غدوة" (١٣٧).

في ضوء فهمنا هذا لربة الحرب، نستطيع تفسير بعض الطقوس الخاصة التي كان يقيمها عبادها عند القتل، وقبل الأخذ بالثأر، ومنها تحريم الخمر وتجاقي النساء، والبعد عن التطيب والاغتسال، وكلها ضروب من البهجة والتنعيم التي تتعارض مع وجه الإلهة الأسود في هذه الحال، قال المهلهل في مناجاة أخيه كليب (١٣٨) :

خذ العهد الأكيد علي عمري

بتركي كل ما حوت الديار

وهجر الغانيات وشرب كأس

ولبسي جبة لا تستعار

وكذلك تفسير طقس الثأر نفسه بأنه كان إرضاء لإلهة الحرب، إذ كانوا يستفتونها قبل الإقدام على الأخذ بثأرهم، فهذا رجل من العرب يستسقم "ذا الخلصة - صنم الزهرة بأرض تبالة من اليمن<sup>(١٣٩)</sup> في الأخذ بثأر أبيه وحينما نهاه صنمها كفر به فقال<sup>(١٤٠)</sup> :

لو كنت ياذا الخلصة الموتورا

مثلي وكان شيخك المقبوراً

لم تنه عن قتل العداة زورا

وهذا يعني أن "إرافة دم القاتل ليس تعصباً للرحم والقرابة، وليس استشفاء للنفس وإرضاء لغريزة الانتقام، وليس حياً للقتل من أجل القتل، بل هو تنفيذ حرفي لأمر الآلهة"<sup>(١٤١)</sup>.

مما يؤكد لنا الجذور الدينية للثأر عند العرب، وأنه في أصله طقس تطهري يرتبط بعقيدة دينية وليس عادة مكتسبة كما يصفه معظم الباحثين، وبهذا وصفته الخنساء في قولها<sup>(١٤٢)</sup> :

أو ترحضوا عنكم عاراً تجلكم

رحض العوارك حيضاً عند أطهار

وبعد التطهر تحل كل المحرمات التي ارتبطت بالأنثى / الإلهة فيقول امرؤ القيس<sup>(١٤٣)</sup> :

حلت لي الخمر وكنت امرأ

عن شربها في شغل شاغل

فاليوم فاشرب غير مستحقب

إثماً من الله ولا واغل

ويقول عصمة بن حذرة اليربوعي<sup>(١٤٤)</sup> :

الله قد أمكنني من عبس

ساع شرايبي وشفيت نفسي

وكننت لا أقرب طهر عرس

وكننت لا أشرب فضل الكأس

ولا أشد بالوخاف رأسي

هكذا إذن بدت الزهرة في الفكر الجاهلي، فهي مثل عشتار تشعل جذوة الحب، وتوقد نار الحرب إنها النور والنار على حد سواء.

### بين العزى وعشتار

لقد عبدت العرب العزى - هذا لا شك فيه - فتنسوا باسمها، وضحوا لها، وأقسموا بها، وفيما أوردنا من أخبار وأشعار تأكيد على قداسة الزهرة كوكب الحسن والجمال، ولقد مثلتها العرب في الصنم المعروف بالعزى، وساق عدد من الباحثين أدلة كثيرة تدل على أن العزى هي الزهرة عند العرب<sup>(١٤٥)</sup>. مما يغرنا بالربط بي العزى وعشتار، ويدفعنا إلى التساؤل عن أوجه الشبه بين هاتين الإلهتين وطقوس عبادتهما، ورموزهما، ومدى حضورهما في فكر الجاهلي، وصداهما في شعره.

وتسعننا - بداية - لغتنا الفصيحة في التعرف إلى الإلهة العزى فهي "تأنيث الأعز، والأعز بمعنى العزيز، والعزى بمعنى العزيزة"<sup>(١٤٦)</sup>، وهذه الصفة تذكرنا بملوكية عشتار والزهرة، فالعزيزة هنا بمعنى الشديدة القوية الغالبة كل شيء، والتي ليست كمثلها شيء، لم لا؟ وهي ابنة كبير الآلهة العربية "هبل" أو "بعل" إله الخصب والماء<sup>(١٤٧)</sup>، مثلما هي عشتار ابنة الإله أنو أو الإله سين كبير الآلهة البابلية، وفينوس ابنة الإله زيوس كبير آلهة الإغريق، كان لها صنم معبود وهو أعظم أصنام قريش، حمت لها شعباً من وادي حراض، يقال له سقام يضاؤون به حرم الكعبة<sup>(١٤٨)</sup>، ولها هيكل محمي، وسادن يقوم على خدمته، بكاهها أبو خراش الهذلي ومعبدها وسادنها حينما أزال خالد بن الوليد آثارها فقال<sup>(١٤٩)</sup> :

ما لديبة منذ اليوم لم أره

وسط الشروب ولم يلمم ولم يطف

أمسى سقام خلاء لا أنيس به

إلا السباع ومر الربيط والغرف

وأقسموا بها فقال أوس بن حجر (١٥٠) :

وباللات والعزى ومن دان دينها

وبالله إن الله منهن أكبر

وبغيبها، وهو المنحر الذي كانوا يعترضون عليه، ويقدمون إليها القرابين، فقال قيس بن الحدادية (١٥١):

يمينا برب الراقصات عشية

وإلا فأنصاب يمرن بغيب

والدماء التي سفكت عليه فقال الشاعر (١٥٢) :

أما ودماء مائرات تخالها

على فنة العزى وبالنسر عندما

وحرما المقدس فقال أبو جندب الهذلي (١٥٣) :

لقد حافت جهداً يمينا غليظة

بفرع التي أحمت فروع سقام

وكلهم كان معظماً للعزى، ولم يكونوا يرون في الخمسة الأصنام التي رفعها عمرو بن لحي كرايهم في هذه (١٥٤)، وكانت قريش تخصصها بالإعظام، وتطلب الشفاعة منها واللات ومناة، وتلجج باسم هذه الإلهات الثلاث في طوافها بالكعبة فتقول: "واللات والعزى ومناه الثالثة الأخرى، فإنهن الغرائيق العلى، وإن شفاعتكم لترتجي" (١٥٥)، وتقدم إليها الهدايا والقرابين، يزعم ابن الكلبي أن الرسول ﷺ أهدى لها شاة عفراء وهو على دين قومه (١٥٦)، وكان الوليد بن المغيرة يأتيها بخير ماله من الإبل والغنم، فيذبحها لها، ويقوم عندها ثلاثاً ثم ينصرف إليهم مسروراً، وقد بكى سعد بن العاص في مرضه الأخير خوفاً عليها لا خوفاً من

الموت، فطمأنه أبو لهب، وخاطبه قائلاً له : " والله ما عبدت في حياتك لأجلك، ولا تترك عبادتها بعدك لموتك" فقال أبو أحيحة : الآن علمت أن لي خليفة" (١٥٧).

ولقد مثلت العرب العزى امرأة حسناء في صور الزهرة، أما تغير وجهها الجميل في لقائها مع خالد بن الوليد فلأنها في لحظة حرب وقتال، وليس كما يقول د. عبد المعيد خان رد فعل الإسلام على الأسطورة القديمة (١٥٨)، فحينما انطلق خالد إلى بطن نخلة ليهدمها ويعضد السمرات الثلاث، خرجت له من الشجرة الأخيرة امرأة حبشية نافشة شعرها واضعة يديها على عاتقها تصرف بأنيابها، وخلفها دبية السلمي يحرضها على خالد ويقول (١٥٩) :

أعزى شدي شدة لا تكنبي

على خالد ألقى الخمار وشمري

فإنك إن لم تقتلي اليوم خالداً

تبوئي بذل عاجلاً وتنصري

فالخمار أو القناع الذي كان للعزى في تصور العرب هو عينة قناع عشتر الذي اشتهرت به، فكانت تسفر عن وجهها أمام عباها فقط، وقد ارتبط هذا القناع بالحب عند الجاهليين فهم "يزعمون أن الرجل إذا أحب امرأة وأحبته فشق برقعها، وشقت رداءه صلح حبهما ودام، فإن لم يفعل ذلك فسد حبهما، قال سحيم عبد بني الحساس :

وكم قد شققنا من رداء محبر

ومن برقع عن طفلة غير عانس

إذا شق برد شق بالبرد برقع

دواليك حتى كلنا غير لابس

تروم بهذا الفعل بقيا على الهوى

وإف الهوى يغري بهذي الوسوس (١٦٠)

ويبدو أن سحيماً قد نسي جذور هذا الطقس أو أنه سماه وساوس من منطلق إسلامي إذا صحت نسبة البيت الثالث إليه لأنه لم يرد في ديوانه، وقد أكثر الشعراء الجاهليون من ذكر هذا القناع في معرض غزلهم، وجعلوه من صفات المرأة الحية العفيفة، قال الشنفرى<sup>(١٦١)</sup>:

وقد أعجبتني لا سقوط قناعها

إذا ما مشت ولا بذات تلفت

وقال الطفيل الغنوي<sup>(١٦٢)</sup>:

عروب كأن الشمس تحت قناعها

إذا ابتسمت أو سافراً لم تبسم

وتبرز الأم العربية الكبرى (العزى) إلهة للخصب والحياة من خلال علاقتها بالمطر لغة إذ العز والعزاء في اللغة المطر الغزير<sup>(١٦٣)</sup>، وارتباطها بفصل الشتاء وصفاً في قول كبير كهانهم عمرو بن لحي: "إن ربكم يشتي بالعزى لحر تهامة"<sup>(١٦٤)</sup>، فهي مثل إيزيس التي ارتبطت بالشتاء<sup>(١٦٥)</sup>، وعشتار التي كان ينهمر المطر من بين يديها كما ظهرت مصورة على بعض الأختام<sup>(١٦٦)</sup>.

وإلى الماء تتضاف الشجرة رمز الإلهة الأم، ومقر راحة الأم الكبرى، وإلهة الخصب في بابل<sup>(١٦٧)</sup>، حيث عبت العزى في سمرة ثلاث<sup>(١٦٨)</sup>، استحالت الثالثة منها إلى امرأة وكأنها عادت إلى أصلها في صورة "مورا" والدة الإله تموز التي تحولت إلى شجرة عرفت فيما بعد باسم شجرة المر<sup>(١٦٩)</sup>، وكانت هذه السمرة في موضع يقال له بطن نخلة "ولقد وحد الفينيقيون بين النخلة التي اعتبرها الساميون بعامة شجرة الحياة في جنة عدن وبين إلهة الإخصاب الجنسي والتعشير عشتروت أو عشتار... كما أن من اسمها جاءت تسمية فينيقيا أو فينيق أبو الفينيقيين بمعنى الدامي، إذ إن شعوب البحر الأبيض بعامة ربطت بين عمليات إخصاب النخيل أو ما يعرف بالطلع أو التلقيح... وبين توالي الولادة والاستمرار"<sup>(١٧٠)</sup>.

كما عبد العرب نخلة نجران بصفتها إلهة، وكانوا يعلقون أزياء النساء عليها، وربط الشعراء بين المرأة والشجرة بعامة فقال الطفيل الغنوي<sup>(١٧١)</sup>:

### إن النساء كأشجار نبتن معاً

منها المرار وبعض المر مأكول

واستلهموا صورة النخلة بعامة، وجعلوها رمزاً للمرأة، فهذا أبو دؤاد الإيادي يقول<sup>(١٧٢)</sup> :

وتراهن في الهوادج كالغـز

لأن ما إن ينالهن السهام

نخلات من نخل بيسان أئنعـ

ن جميعاً ونبتهن تؤام

فهو يجمع بين المرأة والغزال والنخلة المخصبة، ويشير إليها جميعاً بنون النسوة، وينسب النخلات إلى بيسان من أرض فلسطين حيث علاقتها بالفينيقيين.

وبوصفها ربة للذة والجنس، وراعية للخصب الإنساني، بدت العزى في رواية ابن كثير حينما قتلها خالد امرأة عارية كما ذكرنا من قبل، ودلالة العري على الجنس واضحة، كذلك ربطت المرأة الجاهلية الفعل الجنسي بنجم الصباح رمز العزى، فقال "يا لكاج. أبغي النكاح، عند الصباح"، وقد ورد في الأدب البابلي أن البنات كانت تباع في عيد عشتار في عهد ازدوبار، وقد ذكر سميث أن الزهرة بأرض ألوسة كانت الإلهة (ذي الخلصة) التي انتشرت عبادتها بتبالة من اليمن، وكانت تجتمع حولها نساء دوس في عيدهم<sup>(١٧٣)</sup>.

أما صلة العزى بالحرب، فتظهر لنا من خلال افتخار أبي سفيان بربته الحربية، وزهوه بها يوم أحد، وكأنه يعزو النصر إليها فيهتف بالمسلمين قائلاً : "لنا العزى ولا عزى لكم" فيأمر رسول الله ﷺ عمرو بن الخطاب رضي الله عنه أن يقول : "الله مولانا ولا مولى لكم"<sup>(١٧٤)</sup>.

ومن خلال القرابين البشرية التي كانت تقدم إليها، ومن وجهها الأسود الذي برزت به لخالد بن الوليد ساعة اللقاء، والحال التي كانت عليها وهي "تصك أسنانها" وكأنها تبدي

نواجذها وأنيابها، وكثيراً ما وظف الشعراء صورتها الأخيرة هذه في الحرب، فقال بشر بن عمرو بن مرشد<sup>(١٧٥)</sup> :

قل لابن كلثوم الساعي بذمته

أبشر بحرب تعض الشيخ بالريق

وصاحبيه فلا ينعم صباحهما

أذفرت الحرب عن أنيابها الروق

وقال أوس بن حجر<sup>(١٧٦)</sup> :

وأني امرؤ أعددت للحرب بعدما

رأيت لها ناباً من الشر أعصلا

وليس غريباً بعد كل الذي سبق أن تتحد صفات العزى بصفات عشتار في دلالات الجذر "عزز"<sup>(١٧٧)</sup>. وأن تتشابك عناصر الأسطورة القديمة - التي بهتت معالمها - في حديث "زبراء" كاهنة بني رثام وكانت أمة لعجوز منهم تدعى "خويلة"، فحذرت سبعين رجلاً من قومها كانوا في عرس لهم أشارى سكارى، من مدهامة بني داهن وبني ناعب، فانصرف منهم أربعون، وقتل الباقيون الذين سخروا من نبوءة الكاهنة، فأقبلت خويلة على القتلى في الصباح، فقطعت خناصرهم، وانتظمت منها قلادة، وألقها في عنقها، وخرجت حتى لحقت بابن اختها مرضواي ابن سعوة المهري، فأناخت بفنائها وأنشأت تقول له :

جاءتك وافدة الثكالى تغتلي

بسوارها فوق الفضاء الناضب

هذي خناصر أسرتي مسرودة

في الجيد مني مثل سمط الكاعب

طرقتهم أم اللهيم فأصبحوا

تستنن فوقهم ذيول حواصب

فابرد غليل خويلة الثكلى التي

رمىت بأثقل من صخور الصاقب

فأجابها مرضواي :

أخالتنا سر النساء محرم

عليّ وتشهاد الندامى على الخمر

لئن لم أصبّح دهننا ونفيتها

وناعبها جهراً براغية البكر

فوارى بنان القوم في غامض الثرى

وصوري إليك من قناع ومن ستر

فإني زعيم أن أروّي هامهم

وأظمئ هاماً ما انسرى الليل بالفجر" (١٧٨)

حيث علاقة الكاهنة بالحرب، والمرأة العجوز "خويلة" التي مثلت صورة العزى أو عشتر التي كان يحلي جيدها عقد<sup>(١٧٩)</sup>، والخمرة والسكر، وتسمية الحرب بأمر اللهم، وقناع العزى، ونجمة الصباح، وتابو تحريم الخمر والنساء في طقس الثأر.

وبعد، فلعلنا نستطيع تلمس الأصل الذي صدرت عنه أعلى قيم الجاهلية، ومثلها العليا الثلاث : المرأة، والخمرة، والفروسية، تلك القيم التي تعاور عليها الشعراء، وأضفوا عليها هالة من التقديس، إنها صفات الأم الكبرى في رموزها وطقوس عبادتها، والتي انعكست في صورة البطل المثال، والقائد الحامي، والسيد المقدس، فحرص الشعراء على الاتصاف بها، فقال امرؤ القيس<sup>(١٨٠)</sup> :

كأني لم أركب جواداً للذة

ولم أتبطن كاعباً ذات خلخال

ولم أسبأ الزرق الروي ولم أقل

لخيلي كرى كرة بعد إجفال

وقال طرفة بن العبد<sup>(١٨١)</sup> :

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى

وجدك لم أحفل متى قام عودي

فمنهن سبقي العاذلات بشربة

كميت متى ما تعل بالماء تزيد

وكري إذا نادى المضاف محنّباً

كسيد الغضا، نيهته المتسورد

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب

ببهكنة تحت الطراف المعمد

وقال قيس بن الحدادية<sup>(١٨٢)</sup> :

وأصبحت بعد الأونس جبة

أساقي الكماة الدارين العواليا

فيوماي يوم في الحديد مسربلاً

ويوم مع البيض الأوانس لاهيا

ولعلنا نستطيع أن نقول إن المرأة في الشعر الجاهلي رمز للزهرة أيضاً، وليست رمزاً للشمس وحسب، كما وردت عند كثير من دارسي الشعر الجاهلي<sup>(١٨٣)</sup>، وفي ذلك تأكيد على أصالة الشعر الجاهلي وانتمائه إلى عصره وتمثيله فكر أصحابه، إذ إن رمزية المرأة للشمس والزهرة على السواء دليل على اختلاف ديانة عرب الجنوب عن عرب الشمال الذين تأثروا بديانة إخوانهم الشماليين : البابليين والكنعانيين والفينيقيين، وعلى امتزاج هاتين الديانتين وتداخل رموز المعبودات بينهما، وهذا ما أكدته الدراسات التاريخية، يقول ديتلف نيلسون : "والشيء الذي تجب مراعاته هو أن الشمس المذكورة عند الساميين الشماليين يجب ألا تقارن بالشمس المؤنثة عند الساميين الجنوبيين، إذ وجه الشبه كالاتي : سامي جنوبي شمس "مؤنث"، سامي شمالي عثتر - عثتروت "مؤنث الزهراء"، سامي جنوبي عثتر "مذكر الزهراء"، سامي شمالي شمس "مذكر"، أعني أن الإلهين لم يتغيرا من حيث الجنس بل من الناحية الفلكية، فشمس العربية الجنوبية أصبحت أمّاً (الإلهة الأم) ولها نفس الأسطورة التي تنسب للإلهة عثتر - عثتروت عند الساميين الشماليين، إلا أن تغير الحالة الاجتماعية جعلها تقدر

في شخص كوكب آخر، فهي لا تقطن قرص الشمس بل نجم الزهراء، وهذه الظاهرة نلاحظها في عتار المذكر في الأسطورة العربية الجنوبية فقد أصبح عند الساميين الشماليين يقدر في قرص الشمس<sup>(١٨٤)</sup>.

في ضوء هذه الدراسة فإننا قد لا نتفق مع الدكتور إبراهيم عبد الرحمن في تحليله عينية الحادرة<sup>(١٨٥)</sup>، فبعد أن أثبت أن سمية في مقدمة القصيدة ليست امرأة حقيقية، لم يرمز بها إلى الشمس وإنما ربطها بالثريا، وجعلها رمزاً لها، ولم يُعرف عن الديانات القديمة أنها شخصت وصورت الثريا أمًا، ثم إنه ربط هذه الأم "الثريا" بـ فينوسات لوسيل، ومعروف أن فينوس رمز للزهرة في الأساطير الإغريقية وليست رمزاً للثريا، ولو اعتبر د. عبد الرحمن المرأة رمزاً للزهرة عشتار لاستقام تفسير القصيدة.

كما نجده يرى الزهرة إليها ذكراً مرة، وإلهة أنثى مرة أخرى فيقول: "أما الزهرة فكانت إليها ذكراً حيناً وإلهة أنثى حيناً آخر، ولوحظ أنها تكون ذكراً عندما تتجسد صفة الإله المحارب وتكون أنثى عاشقة عندما تكون إلهة الحب"<sup>(١٨٦)</sup>، وليس الأمر كذلك كما رأينا، إذ الزهرة رمز الأم الكبرى بوجهيها الأبيض والأسود.

وفي هذه الدراسة أيضاً رد على الذين ينفون صلة الزهرة بعشتار كما ذهب إلى ذلك الدكتور مصطفى الجوزو بقوله: "لكن ما نعرف عن الزهرة لا يجوز مقارنتها بعشتار، ولولا أن بابل مثلتها على صورة امرأة حسناء عارية، ولولا أن أسطورة جلجامش البابلية تصف عشتار بأنها امرأة ذات أخلاق خاصة، ولولا أنها عند الساميين إلهة الحب والفسق لما استطعنا أن نجعل بينها وبين الزهرة أي صلة"<sup>(١٨٧)</sup>.

#### الهوامش

- (١) سورة آل عمران، آية ٢٧.
- (٢) السواح، فراس: لغز عشتار (الألوهية المؤنثة وأصل الدين والأسطورة)، ط٦، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٦م، ص٢٠٧.
- (٣) نعمه، حسن: ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤م، ص٣٦.

- (٤) د. العربي، محمد : الديانات الوضعية المنقرضة، ط١، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٥م، ص٢٤٥.
- (٥) الخوري، لطفي : معجم الأساطير، ط١، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٠م، ١/٢٣٧.
- (٦) فرانكفورت : ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ط٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢م، ص١٧٠.
- (٧) نعمه : ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، ص٣٦.
- (٨) ديوانه، تحقيق سيف الدين الكاتب وأحمد الكاتب، دار مكتبة الحياة، ١٩٨٠م، ص٢٨.
- (٩) الثعلبي، أحمد بن إبراهيم : قصص الأنبياء (عرائس المجالس)، المكتبة الشعبية، بيروت، د.ت، ص٥.
- (١٠) السواح : لغز عشتار، ص٢٥.
- (١١) الماجدي، خزعل : أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، ط١، دار الشروق، عمان : ١٩٩٧م، ص١٢٤.
- (١٢) السواح : لغز عشتار، ص٢٥، وانظر : كافين رايلي : الغرب والعالم، ترجمة د. عبد الوهاب المسيري، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد ٩٠، حزيران ١٩٨٥م، ص٣٦.
- (١٣) السواح : لغز عشتار ص٤١+٤٢، وانظر : في أشكال هذه التماثيل : الماجدي، أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ ص٨٢-٨٨ وبريل، نورمان : بزوغ العقل البشري، ترجمة إسماعيل حقي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٤م، ص١٦٦، ود. علي، فاضل عبد الواحد : عشتار ومأساة تموز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م، ص٢١٣.
- (١٤) الماجدي : أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ ص١٢٢.
- (١٥) السواح : لغز عشتار، ص٢٦٣.
- (١٦) السواح : لغز عشتار، ص٥٢.
- (١٧) السابق، ص ٥٢+٥٣.
- (١٨) السابق، ص٢٧.
- (١٩) ديورانت، ول : قصة الحضارة، ترجمة د. زكي نجيب محفوظ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥، المجلد الأول ٢/٢٢٥، وانظر هوك، صموئيل هنري : منعطف المخيلة البشرية، ترجمة صبحي حديدي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، ١٩٨٣م، ص٣٢.
- (٢٠) مغامرة العقل الأولى، ط١، دار الكلمة للنشر، بيروت، ١٩٨٠م، ص٢٧١.
- (٢١) فاضل عبد الواحد علي : عشتار ومأساة تموز، ص٥١.
- (٢٢) ادزارد : قاموس الآلهة والأساطير، ترجمة محمد وحيد خياطه، ط١، دار مكتبة سومر، حلب، ١٩٨٧م، ص٢٢٤.

- (٢٣) السواح : لغز عشتر، ص ٢١٤.
- (٢٤) الشواف، قاسم : ديوان الأساطير، ط١، دار الساقبي، بيروت ١٩٩٩م، ٣/٢٩٠.
- (٢٥) الخازن، نسيب وهيبه : أوغاريت (أجيال، أديان، ملاحم) ط١، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦١، ص ٢١٣+٢١٤.
- (٢٦) لغز عشتر، ص ٢٢٣.
- (٢٧) د. جمعه، بديع محمد : فينوس وأدونيس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م، ص ٣٢.
- (٢٨) Saggs, H.W.F : The Greatness that was Babylon, New York, 1962, P.333
- (٢٩) انظر : زايد، عبد الحميد : الشرق الخالد، دار النهضة العربية، القاهرة، د.ت، ص ١٤٧، وعشتر ومأساة تموز ص ٥٠.
- (٣٠) لغز عشتر، ص ٢١٢.
- (٣١) لغز عشتر، ص ٢٣٤.
- (٣٢) ديوانه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م، ص ٩٣.
- (٣٣) ديوانه، تحقيق د. محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، ١٩٧٤م، ١٨٩.
- (٣٤) ديوانه، تحقيق د. عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٥م، ص ١٨٢.
- (٣٥) انظر : ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٢٩، ٥٨، ١١٠، وشرح ديوان عنتر بن شداد، تحقيق عبد المنعم رؤوف شلي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٣٨، وشعر أبي داود الإيادي، ضمن كتاب دراسات في الأدب العربي : غوستاف فون غرنباوم، ترجمة د. إحسان عباس، ص ٣٢٤، وديوان عدي بن زيد العبادي، تحقيق محمد جبّاري المعبيد، دار الجمهورية للنشر، بغداد، ١٩٦٥م، ص ٨٤، وديوان سيحيم عبد بني الحسحاس، تحقيق عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥٠م، ص ٤٣.
- (٣٦) د. عبد الرحمن، نصرت : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث، ط٢، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢م، ص ١١٠.
- (٣٧) د. البطل، علي : الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، بيروت، ١٩٨١م، ص ٦٤.
- (٣٨) ابن منظور : لسان العرب، والزبيدي : تاج العروس، مادة (دمي).
- (٣٩) الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، ص ١١١.
- (٤٠) ديوان الأعشى، ص ١٨٩-١٩١، لم يصدق نقادنا القدماء إمكان حدوث ما قاله الأعشى في البيت الأول فقال المرزباني : "وأنكروا عليه قوله : لو أسندت ميتاً إلى صدرها ... الخ، قال : وأخبرني بعض

- شيوخنا أنه أدرك الناس وهم يزعمون أن هذا البيت أكذب بيت قالته العرب "الموشح، تحقيق على محمد الجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٦٥، ص٧٦. وانظر ديوان عنتره ص٧٢ في قوله :  
مهفهفة والسحر من لحظاتها إذا كلمت ميتاً يقوم من اللحد
- (٤١) سورة النساء، آية ١٧.
- (٤٢) اللسان "صنم".
- (٤٣) د. علي، جواد : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠م، ١/٥٢١-٥٢٣.
- (٤٤) العسكري، أبو هلال : جبهة الأمثال، تحقيق د. أحمد عبد السلام، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٨، ٢/٢٥٨-٢٥٩.
- (٤٥) ديوانه، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، د.ت، ص٦٧.
- (٤٦) الأغاني، ١١/١٦٦.
- (٤٧) ديوانه، ص١٢٠.
- (٤٨) انظر : فريزر، جيمس : الغصن الذهبي، ترجمة د. أحمد أبو زيد، ط١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧١م، ص٧٥.
- (٤٩) اللسان "حرب".
- (٥٠) اللسان "عون".
- (٥١) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى - صنعة الإمام أبي العباس أحمد بن يحيى الشيباني ثعلب، الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٤م، ص١٠٣.
- (٥٢) ديوانه، تحقيق د. حسين نصار، ط١، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٧م، ص١٢٤.
- (٥٣) ديوانه، ص١٨٦.
- (٥٤) الأصمعي، عبد الملك بن قريب : الأسمعيات، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، ط٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، ص٧١.
- (٥٥) شرح ديوانه، ص١٩-٢١.
- (٥٦) ديوانه ص٣٥٣، وقد وردت هذه الأبيات لعمر بن بكر الزبيدي في الشعر والشعراء لابن قتيبة، تحقيق أحمد محمد شاكر، ط٣، دار التراث العربي، القاهرة، ١٩٧٧م، ١/٣٨٠.
- (٥٧) الألوسي، محمود شكري : بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣١٤هـ، ٣/٤<sup>+</sup>.

- (٥٨) الأصفهاني، أبو الفرج : الأغاني، تحقيق عبد مهنا، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، ٢٩٦/١٠.
- (٥٩) جان بوتيرو : الديانة عند البابليين، ترجمة وليد الجادر، جامعة بغداد، ١٩٧٠م، ص٨٨.
- (٦٠) د. ميخائيل، نجيب : مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١م، ١٣٠/٦.
- (٦١) نيلسون، ديتلف : التاريخ العربي القديم، ترجمة د. فؤاد حسنين علي، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، د.ت، ص١٩٦.
- (٦٢) انظر : ول ديورانت : قصة الحضارة، م١ج٢/٢١٦، وكريم، صمويل نوح : أساطير العالم القديم، ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف، مطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م، ص٨٧، وبشور، وديع : سومر وأكاد، دمشق، ١٩٨١م، ص١٩٠.
- (٦٣) الشواق، قاسم : ديوان الأساطير، ط١، دار الساقى، بيروت، ١٩٩٩م، ٢٨٨/٣.
- (٦٤) لغز عشتر، ص١٨١.
- (٦٥) انظر : ول ديورانت : قصة الحضارة، ك١ج٢/٢٩٩، وازرد : قاموس الآلهة والأساطير ص٥٧.
- (٦٦) ول ديورانت : قصة الحضارة م١ج٢/٢٢٩، وانظر لغز عشتر ص١٩٢، وحتى، فيليب : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة د. جورج حداد وعبد الكريم رافق، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٢م، ١٣٢/١.
- (٦٧) فريزر، جيمس : أدونيس أو تموز، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ط٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢م، ص٤٣.
- (٦٨) الخطط القرظية، مكتبة إحياء العلوم، بيروت، د.ت، ٢٤٥/١، وانظر د. نافع، حبيب : عشترت وأدونيس، دار مجلة الأديب، بيروت، ١٩٤٨م، ص١٨.
- (٦٩) قاموس الآلهة والأساطير ص٥٨، وانظر فاضل عبد الواحد : عشتر ومأساة تموز ص٤٢-٤٤، ونيلسون : التاريخ العربي القديم ص١٩٧، ود. سوسه، أحمد : تاريخ حضارة وادي الرافدين، مطبعة الحرية، بغداد، ١٩٨٣م، ٢٧/١.
- (٧٠) فاضل عبد الواحد : عشتر ومأساة تموز ص٤٣.
- (٧١) انظر د. جمعة، بديع محمد : فينوس وأدونيس ص١٩ وعبد الحكيم، شوقي : الفلكلور والأساطير العربية، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٨م، ص٥١، وحسن نعمة : ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ص٤٣.
- (٧٢) الابشيهي، شهاب الدين بن محمد : المستطرف في كل من مستطرف، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار القلم، بيروت، ١٩٨٢م، ص٣٦٧.
- (٧٣) السابق، ص٣٦٨.

- (٧٤) الحوت، محمود سليم : في طريق الميثولوجيا عند العرب، ط١، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٥٥م، ص٨٩.
- (٧٥) اللسان "زهر".
- (٧٦) انظر : كريمي : أساطير العالم القديم، ص٣، وديورانت : قصة الحضارة م١ج٢/١٥٩.
- (٧٧) شرح ديوانه، ص٥٢.
- (٧٨) ديوانها، دار كرم، دمشق، د.ت، ص٢٢.
- (٧٩) ديوانه، ضمن كتاب الطرائف الأدبية، صنعه عبد العزيز الميمني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٧م، ص١٦.
- (٨٠) انظر د. البطل : الصورة في الشعر العربي، ص١٨٤، وما بعدها، ود. النعيمي، أو إسماعيل : الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ط١، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٣٠١.
- (٨١) ديوانه، ص٤١٧.
- (٨٢) ديوانه، ص١٥-١٦.
- (٨٣) شعره، ضمن كتاب شعراء مقلون، جمعه د. حاتم صالح الضامن، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٧م، ص٣١٣.
- (٨٤) ديوانه، تحقيق د. ناصر الدين الأسد، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٩٩١م، ص١٠٨.
- (٨٥) القزويني، زكريا بن محمد : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، المكتبة الأموية، د.ت، ص٢٦.
- (٨٦) بلوغ الأرب ٢/٣٣٠.
- (٨٧) المرجع السابق والصفحة السابقة.
- (٨٨) المرجع السابق والصفحة السابقة.
- (٨٩) المسعودي، علي بن الحسين : مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الرعاء للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٣٨م، ٢/٢٤٠، وانظر د. جواد علي تاريخ العرب قبل الإسلام، ٤٤٦/٦.
- (٩٠) عبد الحكيم، شوقي : موسوعة الفلكلور والأساطير العربية، دار العودة، بيروت، ١٩٨٢م، ص٤٨٦.
- (٩١) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج : تلييس إبليس، دار القلم، بيروت، ١٤٠٣هـ، ص٥١.
- (٩٢) اللسان "عرب".
- (٩٣) ديوانه ص١٠٣.
- (٩٤) اللسان "زهر".

- (٩٥) يرى د. أنيس فريجة أن Vendred الجمعة هو في الأصل من Venus فينوس الزهوية، وأن DieVaneris هو يوم الزهرة أو الجمعة انظر : ملاحم وأساطير من الأدب السامي، دار النهار، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١١٣.
- (٩٦) ديوانه، تحقيق خليل إبراهيم العطية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٢م، ص ٨١.
- (٩٧) علي بن الوليد : رسالة المبدأ والمعاد، ضمن ثلاث رسائل إسماعيلية ص ١٠٨، نقلاً عن محمد عجيبة : موسوعة أساطير العرب، ط ١، العربية للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٤م، ١/٢٢١.
- (٩٨) سورة البقرة، آية ١٠٢.
- (٩٩) انظر : الطبري، محمد بن جرير : جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري)، دار المعارف، القاهرة، د.ت ٤٠٩/٢-٤٤٢ والثعلبي، أحمد بن إبراهيم : قصص الأنبياء (عرائس المجالس)، المكتبة الشعبية، بيروت، د.ت، ص ٣٢.
- (١٠٠) د. حواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام، ١٤٤/٦.
- (١٠١) تفسير الطبري، ٣٤٥/١.
- (١٠٢) المرجع السابق، ٣٤٦/١.
- (١٠٣) د. علي البطل : الصورة في الشعر العربي ص ٧٥، وانظر ناصف مصطفى : قراءة ثانية لشعرنا القديم، نشر كلية الآداب، الجامعة الليبية، د.ت ص ١٥١.
- (١٠٤) اللسان "صبح".
- (١٠٥) ديوانه، ص ١١٠.
- (١٠٦) ديوانه، تحقيق د. إحسان عباس، سلسلة التراث العربي، الكويت، ١٩٦٢، ص ٣١٤.
- (١٠٧) ديوانه، ص ٧٨.
- (١٠٨) د. زكي، أحمد كمال: التفسير الأسطوري للشعر القديم، مجلة فصول، المجلد الأول العدد الثالث، إبريل، ١٩٨١م، ص ١١٦-١١٧.
- (١٠٩) ديوانه، تحقيق كرم البستاني، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص ٣١.
- (١١٠) الأصمعيات، ص ٢٢٤.
- (١١١) ديوانه، تحقيق د. ناصر الدين الأسد، ط ٢، دار صادر، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٥٧.
- (١١٢) اللسان "صهب" ويقول الأعشى (ديوانه ص ٨٥) :  
وصهباء طاف يهوديها  
وأبرزها وعليها ختم
- (١١٣) ديوانه، ص ٢٩.

- (١١٤) ديوانه، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب، دار الكتاب العربي، حلب، ١٩٦٩م، ص٦٨.
- (١١٥) ديوانه، ص١٤٩.
- (١١٦) شعره، جمعة د. يحيى الجبوري، دار الحرية للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٧١م، ص٨١.
- (١١٧) ديوانه، ص٩٨.
- (١١٨) ديتلف نيلسون : التاريخ العربي القديم، ص١٩٨.
- (١١٩) الحوت، محمود سليم : في طريق الميثولوجيا عند العرب، ص٧٠.
- (١٢٠) لغز عشتار، ص٢١٧.
- (١٢١) شيخو، لويس : شعراء النصرانية، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٢٦م، ص١٦.
- (١٢٢) اللسان "صبح".
- (١٢٣) شعره، جمعه وحققه د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت، ١٩٨١م، ص٤٤.
- (١٢٤) شعره، ضمن كتاب "شعراء مقلون" جمعه د. حاتم صالح الضامن، ص٣٧، وديوان الأعشى، ص٣١١.
- (١٢٥) ديوانه، ص٣٠٩.
- (١٢٦) ديوانه، ص٤٤.
- (١٢٧) اللسان "صبح".
- (١٢٨) ديوانه، ص١٠٣.
- (١٢٩) ديوانه، تحقيق محمد عبد القادر أحمد، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٦٨م، ص٥٤.
- (١٣٠) التبريزي، يحيى بن علي الشيباني : شرح المفضليات، تحقيق محمد علي البجاوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت، ١١٣٣/٢.
- (١٣١) اللسان "صبح".
- (١٣٢) ديوان عنتره، ص٢٦.
- (١٣٣) ديوان عامر بن الطفيل، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، ص١١٧+١١٨، والأصمعيات، ص١٥٥.
- (١٣٤) ابن هشام : السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار الكنوز الأدبية، بيروت، د.ت ٤٥٤/٢.
- (١٣٥) ديوان الأعشى، ص٣١١.
- (١٣٦) ديوان قيس بن الخطيم، ص١٣٨.
- (١٣٧) ديوان عمرو بن كلثوم، تحقيق د. عمر الطباع، دار القلم، بيروت، ١٩٩٤م، ص٩٤، وديوان سلامة ابن جندل، تحقيق، د. فخر الدين قباوة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م، ص١٦٣، ١٦٩.

- (١٣٨) شيخو : شعراء النصرانية، ص ١٦٤.
- (١٣٩) يقول سميث "إن الزهرة بأرض ألوسة كانت الإلهة "ذا الخلصة" انظر د. عبد المعيد خان : الأساطير والخرافات عند العرب، ط ٢، دار الحدائث، بيروت، ١٩٨٠م، ص ١٣٣، ومحمود سليم الحوت : في طريق الميثولوجيا عند العرب، ص ٦١.
- (١٤٠) ابن الكلبي، هشام بن محمد السائب : الأصنام، تحقيق أحمد زكي، دار الكتب، القاهرة، ١٩٢٤م، ص ٢٢.
- (١٤١) د. أبو سويلم، أنور : دراسات في الشعر الجاهلي، ط ١، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٧م، ص ١٣٢.
- (١٤٢) ديوانها، ص ٥٣.
- (١٤٣) ديوان، ص ٢٥٨.
- (١٤٤) المزرباني، أبو عبد الله محمد بن عمران، معجم الشعراء، مطبعة المقدسي، القاهرة، ١٣٥٤هـ، ص ٢٧٤.
- (١٤٥) انظر : جواد علي : تاريخ العرب قبل الإسلام، ٢٣٨/٦ ومحمود سليم الحوت : في طريق الميثولوجيا عند العرب، ص ٧٥، وعبد المعيد خان : الأساطير والخرافات عند العرب، ص ١٢٨. وسيد محمود القمسي : الأسطورة والتراث، ط ٢، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٦٨.
- (١٤٦) اللسان "عزز".
- (١٤٧) لذا نصب عمرو بن لحي هذا الصنم على بئر الأخصف في جوف الكعبة، انظر الأزرق، محمد بن عبد الله : أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، المطبعة الماجدية، مكة المكرمة، ١٣٥٢هـ، ص ٦٨.
- (١٤٨) ابن الكلبي - الأصنام، ص ١٧.
- (١٤٩) المرجع السابق، ص ٢٤.
- (١٥٠) ديوانه، تحقيق د. محمد يوسف نجم، ط ٣، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٣٦.
- (١٥١) شعره، ضمن كتاب شعراء مقلون : د. حاتم صالح الضامن ص ١١، والأصنام لابن الكلبي، ص ٢١.
- (١٥٢) الدميري، كمال الدين محمد بن موسى : حياة الحيوان الكبرى، تحقيق أحمد حسن يسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م، ٣٢/١.
- (١٥٣) ابن الكلبي : الأصنام، ص ١٨.
- (١٥٤) الألوسي : بلوغ الأرب ٢/٢٠٥.
- (١٥٥) ابن الكلبي : الأصنام ص ١٩، والألوسي : بلوغ الأرب، ٢/٣٠٢.

- (١٥٦) السابق، ص ١٢.
- (١٥٧) الأزرقى : أخبار مكة، ص ٨١.
- (١٥٨) ابن الكلبي : الأصنام، ص ١٢.
- (١٥٩) انظر د. عبد المعيد خان : الأساطير والخرافات عند العرب، ص ١٣٢.
- (١٦٠) ابن الكلبي : الأصنام ص ٢٥، وفي رواية ابن كثير : "فإذا هي امرأة عارية ناشرة شعرها" تفسير ابن كثير ٢٥٤/٤.
- (١٦١) الألوسي : بلوغ الأرب، ٣٢٢/٢، وفي ديوان سحيم البيتان الأول والثاني فقط ص ١٥.
- (١٦٢) التبريزي : شرح المفضليات، ١٠٦/١.
- (١٦٣) ديوانه، ص ٧٥.
- (١٦٤) اللسان "عزز".
- (١٦٥) ابن الكلبي : الأصنام، ص ٢٥.
- (١٦٦) ول ديورانت : قصة الحضارة م ١ ج ٢/١٦٠.
- (١٦٧) فاضل عبد الواحد : عشنتار ومأساة تموز، ص ٦٩.
- (١٦٨) تبدو شجرة السمرة عند العرب رمزاً من رموز الخصب، وقد سموها "أم غيلان" (ديوان امرئ القيس ص ٩) وتوحي هذه التسمية بمعادلتها بالأم (انظر د. ريتا عوض : بنية القصيدة الجاهلية دار الآداب، بيروت، ١٩٩٢م، ص ١٩١، وقد يكون لها علاقة بـ "سمير" أو "سميرنا" وهي الإلهة السورية التي حكمت بلاد آشور وآسيا الصغرى والجزيرة العربية.
- (١٦٩) انظر : د. بديع جمعة، فينوس وأدونيس ص ٤١.
- (١٧٠) شوقي عبد الحكيم : الفلكلور والأساطير العربية ص ٥٩، ولنا أن نربط بين شجرة النخيل وشجرة المر من خلال رحلة طائر الفينيق الذي يخرج من الجزيرة العربية حاملاً جثمان أبيه حتى يضعه في معبد هليوبوليس في لبنان حيث يحرقه هناك بأوراق شجر المر (انظر قصة طائر الفينيق شوقي عبد الحكيم، ص ٦٠) وهذا يجعلنا نربط بين السمرة والنخلة حيث العزى ومكانها بيطن نخلة ثم ملاحظة دلالات الجذر "سمر" في اللسان إذ ترتبط بصفات العزى وعشنتار.
- (١٧١) ديوانه، ص ٦٠.
- (١٧٢) شعره، ضمن كتاب دراسات في الأدب العربي : غوستاف فون غرنباوم، ص ٣٣٨.
- (١٧٣) د. عبد المعيد خان : الأساطير والخرافات عند العرب، ص ١٣٣.
- (١٧٤) تاريخ الطبري، ٢١/٣.

- (١٧٥) التبريزي : شرح المفضليات ٧٤/٢.
- (١٧٦) ديوانه، ص ٢١.
- (١٧٧) "إذ العزّة : الشدة والقوة والغلبة والرفعة والامتناع، والعزّة : بيت الطيبة، وبها سميت المرأة عزة، والعزير : الممتنع والقوي والغالب كل شيء والذي ليس كمثلته شيء، وعنز عزوز، وناقاة عزوز لها لبن كثير جم، وأعزت الشاة : استبان حملها، والعز والعزاء : المطر الشديد، والعزوز : من أسماء فرج المرأة، والعزى : شجرة" انظر : اللسان "عزز".
- (١٧٨) أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم : الأمالي، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ١/١٢٦-١٢٨.
- (١٧٩) قاموس الآلهة والأساطير، ص ٢٢٤.
- (١٨٠) ديوانه، ص ٣٥.
- (١٨١) ديوانه، ص ٣٢+٣٣.
- (١٨٢) شعره، ضمن كتاب "شعراء مقلون"، ص ٣٩.
- (١٨٣) مثل د. نصرت عبد الرحمن في الصورة في الشعر الجاهلي، ود. علي البطل في الصورة في الشعر العربي، ود. إبراهيم عبد الرحمن في "الشعر الجاهلي قضاياها الفنية والموضوعية ود. أحمد كمال زكي في كتابه الأساطير، ومقالته : التفسير الأسطوري للشعر القديم، مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الثالث، إبريل ١٩٨١م، ود. قصي الحسين : انثربولوجية الصورة في الشعر العربي قبل الإسلام.
- (١٨٤) نيلسون : التاريخ العربي القديم، ص ٢٣٢.
- (١٨٥) التفسير الأسطوري للشعر الجاهلي، مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الثالث، إبريل ١٩٨١م، ص ١٣٧.
- (١٨٦) الشعر الجاهلي، قضاياها الفنية والموضوعية، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ٣٠.
- (١٨٧) من الأساطير العربية والخرافات، ط ٢، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٠م، ص ١٧.